الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية

معهد الدعوة وأصول الدين
شعبة الكتاب والسنة

موضوع البحث

ابن الجوزي

ومنهجه في التفسير

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد
الطالب : عبد العزيز ثابت

إشراف
الدكتور : مساعد مسلم آل جعفر

السنة الجامعية
1413 - 1414 هـ
1993 - 1994 م

مـقـدمـة البـحث

الحمد لله الذي جمّل الإنسان بالبيان، وجمّل البيان بالقرآن، أحمده، أرسل محمدا -صلى الله عليه وسلم- بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وأنزل عليه القرآن تبصرة وذكرى، ومعجزة كبرى، حجة وتذكيرا.

وأشهد أن لا إله إلا الله فرّق بالقرآن بين الحق والباطل فقال سبحانه ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** ﴾ الفرقان:1.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله الذي جاهد في الله بالقرآن جهادا كبيرا.

صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد :

فإن نهضة المسلمين في العاجلة)وفوزهم في الآجلة أمر موقوف على حسن علاقتهم بالقرآن الكريم وقوة صلتهم به، ولا سبيل لذلك إلا بالإقبال عليه تلاوة وتدبرا ممتثلين لقوله تعالى ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ص :29، ولقوله جلّ جلاله ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه** ﴾ الأنعام:155.

والإتباع مرتبط بحسن الفهم، وحسن الفهم مرتبط بحسن التفهيم من العلماء العارفين بكتاب الله عز وجلّ.

ولقد عُنى العلماء المسلمون منذ فجر الإسلام بالقرآن الكريم دراسة وتفسيرا، وشهدت القرون المتعاقبة من عمر الأمة الإسلامية أئمة أعلاما نذورا أنفسهم لخدمة القرآن العظيم،وما أوتوا من قدرة على ذلك، وكان لهم في خدمة الكتاب العزيز نشاط عظيم ظهرت ثماره فيما زخرت به المكتبة الإسلامية من كنوز)رائعة يقف العقل أمامها حائرا مشدوها.

ولمعت في سماء علم التفسير أسماء جهابذة من العلماء الراسخين وكان من بين أولئك الراسخين عبد الرحمان بن الجوزي الذي برز بين المفسرين بكتابه (زاد المسير في علم التفسير).

الفصل الثالث : وقد جعلته للحديث عن منهج ابن الجوزي في تناول السور والآيات وسمات المنهج العام لتفسيره.

الفصل الرابع : تعرضت فيه لبيان موقف ابن الجوزي في تفسيره من أسباب النزول، والنسخ، والقراءات لما لهذه العلوم من أثر كبير في علم التفسير.

وأما الباب الثالث : فيعد مكملا للباب الثاني، وقد خصصته للحديث عن القضايا اللغوية والفقهية والعقائدية في تفسير ابن الجوزي، وبيان طريقته في معالجتها، وقسمت هذا الباب إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : تناولت فيه القضايا اللغوية في تفسير (زاد المسير).

الفصل الثاني : وفيه الكلام عن المسائل الفقهية وموقف ابن الجوزي من آيات الأحكام.

الفصل الثالث: وقد تضمن الحديث، عن مسائل العقيدة في تفسير ابن الجوزي وموقفه من الأسماء والصفات.

الفصل الرابع: وفيه تناولت الحديث عن موقف ابن الجوزي من القصص القرآني وطريقته في التعامل معها، وكذلك موقفه من الأخبار الإسرائيلية.

وختمت هذا الباب بالكلام عن القيمة العلمية لتفسير (زاد المسير).

وانتهيت من البحث كله إلى خاتمة سجلت فيها أهمّ ماتوصلت إليه في هذا البحث المتواضع.

وأرى أنه من الحق والصدق أن أقرّ أني لم تعترضني في انجاز هذا البحث صعوبات تذكر، إلا ما كان من ظروف خاصة مرت بي اعقبت مللا وتراخيا اجتهدت في دفعهما بفضل الله وعونه أولا، ثم بتوجيهات أستاذي الدكتور مساعد مسلم مدّ الله في عمره ونفعنا بعلمه.

هذا، وإن هذا البحث المتواضع هو أول خطوة أخطوها على طريق البحث العلمي، أسأل الله أن تكون صائبة، وأن تتلوها خطوات، فإن كانت موفقة فذلك ما كنت أبغي، وإن كانت غير ذلك فحسبي أني اجتهدت، وأملي أن أوفق بعدها، وحسبي أيضا أني تشرفت بقراءة تفسير كتاب الله كلّه بعد أن منّ الله علي بحفظه، وتلك نعمة أشكر الله عليها وعلى سائر نعمه التي لا أحصي لها عددا.

بســـــم الله الرحـــمـــن الرحيـــم

البـــــاب الأول :

ابـــــن الجـــوزي :

عـصره وحياتـــــه (سيرته الذاتية والعلمية)

المبحث الأول :

الـــحـــالة السياسيـــــة

وفي خلال العهد السلجوقي استعادت بغداد بعض مكانتها فأصبحت العاصمة الروحية حيث يعيش الخليفة متمتعا بسلطاته الدينية، أما السلطة السياسية فكانت في عاصمة السلاجقة (نيسابور أولا ثم الري) ولعل انفراد الخليفة ببغداد مع إجلال السلاطين واحترامهم له هيأ له صورا من النفوذ وأعاد له ما فقده من قبل من هيبة وجلال.(1)

وازدادت العلاقة قوة بين الخلفاء وبين سلاطين السلاجقة بتبادل الزواج فقد تزوج الخليفة (القائم) من ابنة أخ (طفرل بك) كما تزوج (طفرل بك) بنت الخليفة سنة 453هـ (2).

وبعد وفاة (طفرل بك) أقيم مكانه ابن أخيه (ألب أرسلان)(3) وافتتح بلادا كثيرة وأقيمت الخطبة للعباسيين في مكة وحلب وانتصر على الروم في وقعة سنة 463هـ(4) وبعد موت القائم بأمر الله تولى المقتدي الخلافة سنة (467هـ)، ولكن السلطة الحقيقية في عهده كانت بيد ملكشاه(5) ولم يكن أمام الخليفة إلا أن يرضخ للواقع ويتجرع الضيم)وكان ملكشاه يتصرف كما يشاء في أمور الدولة، وبلغ من تطاوله على مركز الخلافة أن أرسل إلى الخليفة يأمره بترك بغداد وينزعج الخليفة من ذلك، ويطلب أن يمهله شهرا فيرفض فيعرض عليه أن يجعلها عشرة أيام فيوافق، وشاء القدر أن يموت ملكشاه قبل انقضاء المدة المضروبة بينهما ويكفي الله الخليفة شره)إلا أن زوجة ملكشاه تكتم الخبر وتطلب من الخليفة تولية ابنها فيوافق الخليفة على ذلك ويخلع عليه لقب "ناصر الدنيا والدين" والولد لم يتجاوز وقتذاك الخامسة من عمره)وخطب له على المنابر ولم يكن هذا الطفل يستقر على عرش السلطنة أسابيع أو أشهرا قليلة حتى عزل، فصفا الجو بعده لمحمد بن ملكشاه(6) فقلده الخليفة المستظهر) و لقبه غياث الدين وعظمت هيبته وكثرت جيوشه وأمواله ولم يبق له منازع وأصبح الحاكم الفعلي للولايات الفارسية زهاء ثلاث عشرة سنة (498-511هـ) بذل خلالها جهدا كبيرا في القضاء على قوة الباطنية(7).

---

(1) موسوعة التاريخ الإسلامي:423/3

(2) مآثر الأنافة:338/1

(3) هو أبو شجاع محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ألب أرسلان ت450هـ.وفيات الأعيان:160/4

(4) تاريخ الإسلام:26/4

(5) هو أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكال بن سلجوق بن تقاق الملقب بجلال الدولة.ت(485).وفيات الأعيان:370/4

(6) هو أبو شجاع بن ملكشاه بن ألب أرسلان الملقب غياث الدين (ت511هـ). وفيات الأعيان:163/4

(7) د.حسن ابراهيم حسن-تاريخ الإسلام-ج4-ص45

وتلك نبذة عن الخلفاء الذين عاصرهم ابن الجوزي وأهم ما حدث من تقلبات سياسية وما صاحبها من اهتزاز وعدم استقرار، ويمكن أن نلخص أهم الأحداث والظواهر السياسية خلال تلك الفترة في ما يلي :

أولا : تفسخ سياسي مرير، وضعف كبير في أوصال الخلافة العباسية، وجو رهيب من الفوضى السياسية

ثانيا : سيطرة مطلقة من قبل السلاطين السلاجقة على مقاليد الحكم.

ثالثا: إنقسامات في الدولة واستقلال كثير من الدويلات عن مركز الخلافة كالدولة الأيوبية ودول الأتابكة ودولة خوارزم

رابعا : غياب شبه كلي لسلطة الخلفاء ماعدا السلطة الدينية

خامسا : تقارب ملحوظ بين الخلفاء العباسيين في هذا العصر، وسلاطين السلاجقة للإتفاق المذهبي (السني).

سادسا : تبادل الزواج بين السلاجقة وبني العباس كزواج المقتدى سنة 475هـ من ابنة السلطان ملكشاه.

سابعا : اتساع رقعة الدولة الإسلامية عن طريق الفتوحات التي قام بها السلاجقة في آسيا الصغرى.

ثامنا : ظهور ما يسمى بالحروب الصليبية واستمرارها حتى بعد السلاجقة

المبحث الثاني

الحالة الإجتماعية والإمنية

أدت تلك الظروف التي صاحبت ذلك العصر من حروب ومنازعات وإفلات زمام الأمور من أيدي الخلفاء إلى تدهور الحالة الأمنية والإجتماعية في مقر الخلافةوخارجها بل إن الخلفاء أنفسهم تعرضوا لإرهاب كبير من ذلك ما حدث للخليفة القائم بأمر الله مع البساسيري(1) الذي دخل بغداد رغم أنف الخليفة)وخطب للخليفة المستنصر الفاطمي حتى اضطر الخليفة القائم إلى أن يستنجد بقريش بن بدران ويفر من بغداد ولا يدخلها إلابذمام هذا الأخير(2)، واغتيل كل من المسترشد وابنه الراشد على أيدي الباطنية (3). ومن الأسباب التي أدت إلى تدهور الأحوال واضطراب حبل الأمن والفتن الطائفية التي كانت تثور بين الشيعة والسنة وتؤدي إلى إزهاق عشرات الأرواح وما يصحب ذلك من نهب وسلب وحرق)من ذلك ما سجله صاحب البداية والنهاية في سنة 510هـ حيث قال : (وفي يوم عاشوراء حدثت فتنة بين الروافض والسنة وقتل فيها خلق كثير)(4). ولا يكاد يذكر عام إلا وتتكرر مأساة الصراع المذهبي بين الشيعة والسنة وإن لم تتكرر في العام الواحد عدة مرات رغم أن العلماء كانوا يبذلون جهودهم لإخمادها(5).

ومن أغرب تلك الفتن ما كانت تثور بين أهل السنة أنفسهم وبالأخص بين الحنابلة والشافعية كما حدث في سنة (447هـ) حيث وقعت بينهما فتنة عظيمة) وأحيانا تكون أسباب هذه الفتن فتوى يصدرها أحد علماء المذهبين، أو تأويلات واجتهادات بما يخالف المذهب الآخر.

---

(1) البساسيرى : هو أبو الحرث أرسلان بن عبد الله التلركي.الوفيات 172/1

(2) مآثر الأنافة–ج:1–ص340

(3) تاريخ الإسلام :57/4

(4) ابن كثير–البداية والنهاية 149/12–مكتبة المعارف–بيروت–ط:5–1983

(5) تاريخ الإسلام:587/4

فانتشر شرب الخمر وكثرت المواخير والحانات وظهرت موج الخلال خلقي بين المغنيات في عهد الخليفة القائم (422-467هـ) وقام بعض الصالحين لمحاربة هذا التيار وأنكروا تفشي الفساد واجتمعت مجموعة من العامة بزعامة العلماء،واستغاثوا بالخليفة القائم طالبين إليه أن يأمر بهدم المواخير والحانات)[1].

وقال نقلا عن ابن الأثير (إن الخليفة المقتدي (467-487هـ) أمر بنفي المغنيات والمفسدات من النساء من بغداد وخرب أبراج الحمام ومنع اللعب بها صيانة لحرم الناس)[2].

وتلك صورة موجزة عن الحالة الأمنية والإجتماعية التي فشت مظاهرها في ظل الأجواء السياسية المضطربة التي عرفها العصر العباسي،وخاصة في أيامه الأخيرة أيام التفكك والإنحلال والسير نحو التلاشي والفناء.

وبعد فراغنا من عرض الحالة السياسية وما تبعها من تحولات في الناحية الأمنية والإجتماعية، ننتقل إلى الحديث عن الحالة العلمية والفكرية فكيف كانت هذه الأخيرة ؟ ذلك ما نحاول توضيحه في المبحث الثالث إن شاء الله تعالى.

---

(1) تاريخ الإسلام.592/4

(2) المرجع السابق.593/4

المبحث الثالث

الحالة العلمية والفكرية في عصر ابن الجوزي

لئن كان العصر العباسي عصر اضطراب وقلاقل من الناحية السياسية فقد كان من حيث النهضة العلمية قمة بين عصور التاريخ الإسلامي، يقف بينهما فخورا شامخ الرأس، وقد حدث فيه حادثان عظيمان يرتبطان بالعلوم والمعارف، وهذان الحادثان هما :

أولا : تدوين العلوم الإسلامية : ففي هذا العصر ظهر أئمة الفقه وأئمة النحو، والمؤرخون، والمفسرون وبدأ هؤلاء يدونون العلوم الإسلامية وكانت العلوم قبل ذلك تعتمد على الرواية غالبا.

ثانيا : الترجمة : فقد شهد هذا العصر ترجمة العلوم للغة العربية من اللغات الأخرى، ونقل المسلون كثيرا من العلوم والأبحاث خلال اتصالهم بالثقافة الأجنبية(1). ولا يعنينا هنا أن نتتبع تطور الحياة العلمية والفكرية بتفصيل خلال العصر العباسي بأطواره المختلفة وإنما نركز على إهتمامنا على النهضة العلمية في العصر الذي عاش فيه ابن الجوزي.

وقد عرفنا أن هذا العصر كان من الناحية السياسية عصر نفوذ للسلاجقة بسطوا فيه نفوذهم على رقعة واسعة من البلاد الإسلامية منذ ان قامت دولتهم.

وإذا كان العصر السلجوقي داخلا ضمن عصور التفكك والإنحلال من الناحية السياسية والأمنية، فقد شهد نهضة نهضة علمية سجلها التاريخ للسلاجقة(2)، وحفظ لهم جميل صنيعهم ونحاول خلال هذا المبحث أن نبرز جوانب من تلك النهضة مركزين على العلوم النقلية، ذاكرين قبل ذلك أهم الأسباب التي ساعدت على قيام تلك النهضة.

لقد توفرت عدة أسباب لقيام النهضة العلمية، جعلت سفينة العلم تمضي في طريقها، رغم أمواج الفتن وعواصف الحروب ونذكر من بين هذه الأسباب ما يلي :

---

(1) موسوعة التاريخ الإسلامي . ج:3-ص:18,17

(2) موسوعة التاريخ الإسلامي. ج3.ص:435

وإلى جانب تلك المدارس قامت المساجد التي ساهمت في الحركة العلمية بشكل ملحوظ، فقد كان المسجد وقتذاك عبارة عن جامعة يفد إليها طلاب المعرفة، وحلبة للمباريات الفكرية المناظرات العلمية.

3- لما نشطت حركة الترجمة والتأليف في العصر العباسي، وتقدمت صناعة الورق، تبع ذلك ظهور كثير من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب، فكثرت بذلك المكتبات وأشهرها "بيت الحكمة" الذي قيل إن هارون الرشيد[1] هو الذي وضع أساسه، وظل الخلفاء يمدونده بمختلف الكتب، وظل قائما حتى استولى التتار على بغداد سنة 656هـ[2] وكذلك اشتهرت مكتبة نوح بن نصر الساماني، ومكتبة الصاحب اسماعيل بن عباد، واحتوت مكتبة مؤيد الدين بن العلقمي وزير المستعصم[3] ببغداد على عشرة آلاف من نفائس الكتب وكذلك مكتبة القصر الشرقي بالقاهرة التي قيل فيها أن من عجائب الدنيا ويقال إنها كانت تحتوي على 120000 مجلد[4].

4- وهناك سبب آخر يعده المؤرخون من أسباب النهضة العلمية، وهو استقلال كثير من الدول عن الخلافة العباسية إذ أدى ذلك إلى نوع من التنافس والتسابق في الميدان الثقافي وزخر بلاط تلك الدول بالعلماء والشعراء، ومن ذلك بلاط السلاجقة في (مرو) حيث أقام أمراء السلاجقة ولاسيما في عهد السلطان (سنجر) ثم في عهد أمراء الخوارزميين وقد وصف (ياقوت الحموى) مدينة مرو وقال إنها أخرجت من الأعيان وعلماء الدين مالم تخرجه مدينة مثلها وقال عن وفرة الكتب بها إن فيها عشر خزائن لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجودة[5].

5- كما يذكر المؤرخون سببا آخر للنهضة العلمية وهو ظهور كثير من الفرق التي اتخذت الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق أغراضها السياسية، وخير مثال لذلك الآثار التي خلفها العلماء من السنيين والشيعيين وما كان لها من أثر في النهضة العلمية التي تمير بها هذا العصر على الرغم مما

---

(1) هو : أبو جعفر بن محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.تاريخ الخلفاء:329

(2) تاريخ الإسلام.ج4.ص:408

(3) هو: أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله، آخر الخلفاء العباسيين.تاريخ الخلفاء:537

(4) تاريخ الإسلام.ج:4-ص:409

(5) تاريخ الإسلام:ج4.ص:399

3-**ابن عطية** : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي الحافظ القاضي. ولد سنة 481 هـ . نشأ في بيت علم وفضل فأبوه أبو بكر غالب بن عطية إمام حافظ وعالم جليل.

كان ابن عطية على مبلغ من العلم عظيم، فكان فقيها، عارفا بالحديث والتفسير نحويا لغويا أديبا شاعرا. خلف من المؤلفات كتاب التفسير المسمى (بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز). عده ابن فرحون في الديباج المذهب من أعيان مذهب المالكية، كما عده السيوطي في بغية الوعاة من شيوخ النحو وأساطين النحاة.(1)

4- **ابن العربي** : القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الأشبيلي. ولد سنة 468هـ وتأدب ببلده ثم رحل إلى مصر والشام وبغداد ومكة، أتقن الفقه والأصول، وأتقن مسائل الخلاف، وتبحر في التفسير، من مؤلفاته : (أحكام القرآن) وكتاب (المسالك في شرح موطأ مالك) وكتاب (عارضة الأحوذي على كتاب الترمذي) و (القواصم والعواصم).

توفي ابن العربي -رحمه الله- سنة 543هـ ودفن بمدينة فاس.(2)

ابن الخشاب : عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادي، وقد اشتهر في الأدب والنحو والتفسير والقراءات، والفرائض، والحساب. وكان بجانب إلمامه بالعلوم الدينية ولا سيما القراءات شاعرا وإن لم يؤثر أنه كان من فحول الشعراء.

توفي ابن الخشاب ببغداد سنة 567 هـ.(3)

---

(1) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب:174.ابن فرحون-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان

وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. للسيوطي- دار الفكر- 1399هـ-1979م

(2) انظر ترجمة ابن العربي في (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب)281-283

(3) وفيات الأعيان:290/2

المبـــحث الأول

نـسـبـه وولادتـــه ونشأتـــه وأخـلاقه

المبحث الأول

نسب ابـــن الجوزي

ذكر ابن الجوزي في كتابه (لفتة الكبد) أن نسبه ينتهي إلى أبي بكر الصديق - رضي اللـه عنـه حيث قال لولده: (واعلم أننا من أولاد أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- وأبونا القاسم محمد عبد الرحمان بن أبي بكر.)[1]

أما نسبه الذي تذكره كتب التراجم فهو: جمال الدين عبد الرحمان بن علـي بـن عبيـد اللـه بـن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله القاسم بن النضر بن النضر بـن القاسـم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديـق-رضـي اللـه عنـه القرشي التميمي البكري البغدادي المعروف بابن الجوزي.[2]

وقال الحافظ الذهبي : عرف جدهم بالجوزي لجوزة كانت بداره في واسـط لـم يكـن بواسـط جوزة غيرها.[3]

وقال غيره هو نسبة إلى مكان يقال له فرضة الجوز موضع معروف ببغداد.

تـــاريـخ ولادتـــه :

اختلف المؤرخون في سنة مولده، فقيل إنه ولد سنة ثمان وخمسـمائة أو سـنة عشـر وخمسـمائة وقيل غير ذلك، ووجد بخطه لا أحقق مولدي غير أنه مـات والـدي في سـنة أربـع عشـرة وقـالت الوالدة كان لي من العمر نحو ثلاث سنين، فعلى هذا يكون مولده سنة إحـدى عشـرة أو إثنتـي عشرة[4] إلا أن أغلب المؤرخين رجحوا ولادته أنها في سنة عشر وخمسمائة، والسبب في ذلك أن حفظ التاريخ في تلك العصور كان صعب الضبط لإنشغال الناس عنه بمتطلبات الحياة.

---

(1) ابن الجوزي - لفتة الكبد:89.شركة الشهاب.الجزائر

(2) ابن العماد الحنبلي-شذرات الذهب:329/4.دار الآفاق الجديدة-بيروت

(3) الذهبي - تذكرة الحفاظ:1382/4.دار إحياء التراث العربي

(4) الذهبي - تذكرة الحفاظ-1342/4

أخلاقـــــه وصـفـاتـــه :

قال الموفق عبد اللطيف : كان ابن الجوزي رحمه الله لطيف الصورة، حلو الشمائل، رخيم النغمة، موزون الحركات والنغمات، لذيذ المفاكهة، يحضر مجلسه الكثير، لا يضيع من زمانه شيئا. وكان صاحب ذهن وقاد، وجواب حاضر، ومداعبات حلوة.

كان يراعى حفظ صحته وتلطيف مزاجه وما يفيد عقله قوة وذهنه حدة، ولباسه أفضل لباس الأبيض الناعم الطيب[1]، وكان ذا همة عالية حدث عن نفسه في كتابه (صيد المخاطر)، فقال: :(خلقت لي همة عالية تطلب الغايات، بلغت الستين وما بلغت ما أملت فأخذت أسأل الله تطويل العمر، وتقوية البدن وبلوغ الآمال)[2]

كما كان محبا للعزلة ويرضاها للعالم، فيقول :(ما أعرفللعالم قط لذة ولاعزا ولاشرفا، ولاراحة ولاسلامة أفضل من العزلة فإنه ينال بها سلامة بدنه ودينه وجاهه عند الله)وعند الخلق:لأن الخلق يهون عليهم من خالطهم ولا يعظم عندهم قدر المخالط لهم ولهذا عظم قدره الخلفاء لإحتجابهم)[3].

وكان شديد العناية بمظهره وسمته.يقول :(وقبيح بالعاقل إهمال نفسه وقد نبه الشرع على ذلك فأمر بقص الأظفار،ونتف الإبط ونهى عن أكل الثوم والبصل لأجل الرائحة) وقد كان النبي(صلى الله عليه وسلم) يعرف بجيئة بريح الطيب فكان الغاية في النظافة والنزاهة)[4].

وكان إلى جانب ذلك كثير التفكير طويل الصمت يكره المزاح والضحك ويكره مخالطة السلاطين وأرباب المال ويوصي طلبة العلم بالسعي من أجل الرزق يقول في كتابه صيد الخاطر : (وأعوذ بالله من عالم مخالط للعالَم، وخصوصا لأرباب المال والسلاطين يجتلب ويجتلب فما له من شيء من الدنيا إلا وقد ذهب من دينه مثله)ثم أين الأنفة من الذل للفساق ؟).[5]

---

(1) الذهبي تذكرة الحفاظ-1346/1397

(2) ابن الجوزي صيد الخاطر:297

(3) نفس المصدر:282

(4) نفس المصدر:190

(5) نفس المصدر:314

المبحث الثاني

شيوخه و تلاميذه

4 **السمرزفي** : أبو بكر بن الحسن علي المرزفي .

أخذ عنه ابن الجوزي علم القراءات وقال في الثناء عليه :(كان إماما في القرآن والفرائض)[1].

ولد سنة 440 هـ وتوفي سنة 527 هـ.

5- **الجواليقي** : أبو المنصور موهوب بن أحمد الجواليقي.

قرأ عليه ابن الجوزي علم اللغة، وأكثر من ذكره في كتاب (زاد المسير) وأثنى عليه في كتاب المناقب، حيث قال : (انتهى إليه علم اللغة وكان متقنا في كل علم، متورعا في نطقه شديد التثبت في قوله.)[2]. توفي سنة 540 هـ.

6- **ابن الخشاب** : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب النحوي.

أخذ عنه ابن الجوزي علم اللغة وقال في الثناء عليه (قرأ الحديث الكثير وجمع الكتب الكثيرة وانتهى إليه علم النحو).[3] توفي سنة 567هـ.

7- **البارع** : أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب البغدادي.

ت 524 هـ.[4]

8- **أبو غالب الماوردي** : محمد بن الحسن بن علي البصري، قال عنه صاحب شذرات الذهب، كان فاضلا صالحا. ت525 هـ[5].

---

(1) مناقب أحمد:529، وشذرات الذهب:81/4

(2) شذرات الذهب :127/4، ومناقب أحمد:530

(3) مناقب أحمد:532

(4) شذرات الذهب:81/4

(5) المرجع السابق:75/4

4 عبد الحليم بن محمد بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن يتمية ابن الشيخ فخرالدين. سمع الحديث من ابن الجوزي. ت603هـ.[1]

5- عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن هبة الله النميري الحراني الفقيه الواعظ، رحل إلى بغداد في صباه وكان ثقة صدوقا متورعا لازم ابن الجوزي وأخذ عنه.(ت601هـ)[2].

6- عبد الرحمن بن عيسى بن أبي الحسن، على بن الحسين البغدادي أبو الفرج بن البزوري.
قرأ الوعظ والفقه والحديث على ابن الجوزي وبرز فيه حتى حدثته نفسه بمضاهاة ابن الجوزي وكني نفسه بكنيته.(ت604 هـ)[3].

7- محمد بن معالي بن غنيمة البغدادي المأموني، المقرئ الفقيه، سمع من ابن الجوزي وبرع في المذهب الحنبلي وانتهت إليه معرفته مع الديانة والورع والإنقطاع عن الناس، رتب كتاب جامع المسانيد لابن الجوزي على أبواب الفقه. (ت 611 هـ)[4].

---

(1) ابن رجب الحنبلي-ذيل طبقات الحنابلة: 39/1

(2) ابن رجب الحنبلي-ذيل طبقات الحنابلة: 36/2

(3) نفس المصدر: 41/2

(4)

أثاره العلمـــيـــة :

كان للهمة العالية والنبوغ المبكر الذين اوتيهما لأبن الجوزي أثر واضح في غرازة عطائه العلمي وتنوع مؤلفاته، فما ترك فنا من فنون العلم إلا دخل ميدانه وكتب فيه الروائع، وقد اتفق المترجمون له على أنه كان كثير الكتابة في العلوم المختلفة من تفسير وحديث،وفقه وتاريخ وأدب ولغة وفلك لكنهم اختلفوا في عدد مصنفاته اختلافا كبيرا.

فذكر سبطه ابن المظفر: سمعت جدي يقول على المنبر:كتبت بأصبعي ألفي مجلد وتاب على يدي مائة ألف وأسلم على يدي عشرون ألف ثم قال ومجموع تصانيفه مائتان ونيف وخمسون كتابا. وقال الحافظ الذهبي :(ما علمت أحدا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل.).[1]

وذكر الزركلي في الأعلام أن له نحو ثلاث مئة مصنف[2]، وعد له اسماعيل باشا البغدادي سبعة ومائتي مؤلف(207) في علوم مختلفة[3]

وقال صاحب وفيات الأعيان : كتب بخطه كثيرا والناس يغالون في ذلك حتى يقولون جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره، وقسمت الكراريس على المدة، فكان ما خص كل يوم تسع كراريس، ثم قال : ويقال إنه جمعت براية اقلامه التي كتب بها حديث رسول الله فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك وفضل منها ،وعلق ابن خلكان على ذلك فقال :

وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل.[4]

وصرح ابن الجوزي في نصيحته إلى ولده فقال : وقد علمت يا بني أني قد صنفت مائة كتاب فمنها التفسير الكبير عشرون مجلدا، والتاريخ عشرون مجلدا وتهذيب المسند عشرون مجلدا،وباقي الكتب بين كبار وصغار.[5]

---

(1) الذهبي تذكرة الحفاظ:ص1346

(2) الزركلي الأعلام:4/89

(3) اسماعيل باشا البغدادي-هداية العارفين إلى أسماء المؤلفين- المجلد الأول-ص: 520-523.مطبعة استنبول-1951م

(4) ابن خلكان-وفيات الأعيان

(5) لفتة الكبد:ص60

خـــامـــسا : مـؤلـفاتـه في الفـقـه :

"الإنصاف في مسائل الخلاف"، "عمـدة الدلائـل في مشـتهر المسـائل"، "المذهـب في المذهـب"، "العبادات الخمس"، أسباب الهدايـة لأربـاب البدايـة"، "رد اللـوم والضيـم في صـوم يـوم الغيـم"، "مسبوك الذهب"، "أخبار النساء"، "الباز الأشهب المنقضى على مخالفي المذهب"، "جنـة النظـر"، "الدلائل في منثور المسائل ".

سـادسـا : مـؤلـفاتـه في الـوعـظ :

"اليواقيت في الخطب"، "المنتخب"، "نسيم الرياض"، "اللؤلؤ"، "اللطـائف"، "كنـوز الرمـوز"، "شاهد ومشهود"، "المدهش"، "محادثة العقل"، "لقط الجمان"، "فتوح الفتـوح"، "نكـت المجـالس البدرية"، "نزهى الأديب"، "تبصرة المبتدي"، "الياقوتـة"، " تحفـة الوعـاظ"، "ذم الهـوى"، "صيـد الخاطر"، "القصاص والمذكرين"، "المرتجل في الوعـظ"، "ذخـيرة الوعـظ"، "المجـالس اليوسـفية في الوعظ"، "الزند الوري في الوعظ الناصري"، "زاهر الجواهر في الوعظ"، "المناجـاة"، "التذكـرة في الوعظ"، "لفتة الكبد في نصيحة الولد".

وهذا بعض من مؤلفاته أشرنا إليها ليكون خير شاهد على العطاء الغزيـر الـذي أسـداه العلامـة ابن الجوزي إلى المكتبة الإسلامية في شتى الفنون والعلوم.

تـفـوقه في فن الوعـظ :

اتجه ابن الجوزي إلى الوعظ فاشتغل به منذ صغره وفاق فيه الأقران ونشأت له فيه ملكة عجيبة وبديهة حاضرة، وناب على يديه آلاف، وحضـر مجالسـه الخلفـاء والـوزراء، وقـد اشـتهر العلمـاء ذلك، فهذا ابن كثير يقول في (البداية والنهاية) :"تفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه، ولا يلحق شاوه فيه وفي طريقته وشكله وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوته ونفـوذ وعظـه على المعـاني البديعة وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية بعبارة وجيزة سـهلة الفهـم والإدراك بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمات اليسيرة."(1).

---

(1) البداية والنهاية :28/13

مـــحـــنـتـــه ووفـــاتـــه :

في سنة 590 هـ نقم الخليفة الناصر لدين الله على الإمام أبي الفرج ونفاه إلى واسط فأقام بها إلى سنة 595 هـ ثم عاد إلى بغداد ورضي عنه الخليفة وأذن له في الوعظ على عاداته، وكان السبب في الإفراج عن الشيخ، أن ولده محي الدين يوسف ترعرع وقرأ الوعظ ووعظ وتوصل وساعدته أم الخليفة وكانت تتعصب لأبي الفرج فشفعت فيه عند ابنها الناصر فأمر بإعادته إلى بغداد.

قال ابن كثير : (.. وأقام خمسة أعوام بواسط يخدم نفسه وكان شيخا قد بلغ الثمانين، وكان يتلو في كل يوم وليلة ختمة، قال ولم أقرأ سورة (يوسف) لوجدي على ولدي إلى أن فرج الله.)(1)

وفـــاتـــه :

ولم يزل ابن الجوزي على الوعظ ونشر العلم والتصنيف إلى أن مات وكانت وفاته ليلة الجمعة الثاني عشر من رمضان سنة 597 هـ وله من العمر سبع وثمانون سنة، وصلوا عليه بجامع المنصور، وكان يوما مشهودا فقد ازدحم الناس لتشييعه فأفطر بعضهم لشدة الإزدحام، وأوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات :

يا كثير العفو عمن كثر الذنب لديه
جاءك مذنب يرجو الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء الضيف إحسان إليه(2)

---

(1) البداية والنهاية :9/13

(2) سيرة أعلام النبلاء:380/21

البـــاب الـثـانـي

منـــهج ابن الـــجوزي في الـتـــفسيـــر

من خـــلال : كتابه (زاد الـمسيـــر)

ألفاظه. فقوله تعالى ﴿ **لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ يتناول هذا وهذا.)[1]

أما الصحابة الكرام فما كانوا يجرؤون على تفسير القرآن العظيم وهو عليه السلام بين ظهرانيهم يتحمل هذا العبء العظيم ويؤديه حق الأداء حتى إذا لحق الرسول بالرفيق الأعلى لم يكن بد للصحابة العلماء بكتاب الله تعالى الواقفين على أسراره المهتدين بهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- من أن يقوموا بدورهم في بيان ما علموه وتوضيح مافهموه.

ولقد أعان بعض الصحابة على فهم القرآن عدة عوامل، منها معرفتهم بطرائق اللغة العربية وأسرارها في التعبير ومعرفة أسباب النزول وما أحاط بالآيات من ظروف وملابسات وكذلك المعرفة بعادات العرب وتقاليدهم، ثم ما يؤتاه أحدهم من فهم وسعة إدراك يمكنه من الوصول إلى مراد الآيات.

وقد تفاوتت حظوظ الصحابة في معرفة التفسير فوجد منهم من اشتهر بالتفسير وحمل لواءه إلى الأجيال التالية ومنهم من قلت بضاعته في هذا الشأن ولكنهم في عمومهم قد امتازوا على الأجيال التي بعدهم حيث حملوا كتاب ربهم،وحملوا معه سنة نبيهم لما فيها من البيان والتفسير كما حملوا إليهم ما شهدوه من الظروف والأحوال التي أحاطت بالآيات، وتواريخ النزول وعلاقتها بمواقف من حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- وغير ذلك من الأمور النقلية التي يتوقف عليها الفهم الصحيح للقرآن العظيم.

والمفسرون من الصحابة كثيرون إلا أن مشاهيرهم عشرة : الخلفاء الراشدون وابن مسعود وابن عباس وأبي كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير، أما الخلفاء فأكثر من روى عنهم علي بن أبي طالب. وأما الرواية عن غيره من الخلفاء فنادرة وكأن السبب في ذلك تقدم وفاتهم[2].

أما الصحابة الذين كثرت عنهم الرواية بكثرة تلاميذهم الآخذين عنهم والناشرين لعلمهم فهم عبد الله بن مسعود وأبي كعب وعبد الله ابن عباس، وأجدر الثلاثة بلقب المفسر هو عبد الله بن عباس الذي اختصه الرسول -صلى الله عليه وسلم- بدعوته المباركة " **اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**".

---

(1) ابن تيمية- مقدمة في أصول التفسير ص:5- دار مكتبة الحياة- بيروت

(2) السيوطي الإتقان في علم القرآن: 318/2 دار المعرفة بيروت لبنان

وأشهر مفسري التابعين مجاهد بن جبر المكي (ت103هـ) وقد تلقى علم التفسير على ابن عباس ويروي عنه أنه قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية منه أسأله عنها فيم نزلت وفيم كانت ؟. وفي رواية أخرى أنه قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة.(1)، ومنهم عكرمة أبو عبيد الله البربري (ت105هـ) وهو مولى ابن عباس وهو الذي قال: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن، وقال : كل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس.

ومن مفسري التابعين الحسن البصري (ت120هـ) وكان ورعا زاهدا غزير العلم بكتاب الله وسنة نبيه، وشهد له بذلك خلق كثير.

ومنهم قتادة بن دعامة السدوسي(117هـ) وكان واسع الإطلاع، بصيرا باللغة العربية، خبيرا بالشعر.

ومنهم عطاء بن أبي رباح(ت 114هـ) وكان ذا مكانة عالية في التفسير وشهد له استاذه ابن عباس(2)، فكان يقول لأهل مكة إذا اجتمعوا إليه، تتجتمعون إلي يا أهل مكة وعندكم عطاء.

التفسير في عهد التدوين :

يذهب بعض الباحثين إلى أن الجزم بأن أول كتاب دون في التفسير، لبيس سبيله سهلا، ولكنهم يكادون يجزمون بأن تدوين التفسير كان مبكرا منذ القرن الأول وإن كان ممزوجا بالحديث، إذ أن مادة التفسير في ذلك الوقت ترجع في عمومها إلى أقوال الرسول- صلى الله عليه وسلم- وصحابته رضوان الله عليهم.

غير أن هذا الرأي غير مسلم به لدى كل الدارسين والباحثين ففريق آخر منهم يرى أن التفسير نشأ مستقلا عن الحديث وهو أول العلوم الإسلامية ظهورا(3).

ومهما يكن من خلاف في هذا الموضوع فإن الإتفاق قائم على بدء تدوين التفسير في وقت مبكر، يقول الشيخ أمين الخولي (إن قوة اتصال القرآن بالحياة الإسلامية، وشديد عناية القوم بأخذ

---

(1) السيوطي- الإتقان: 323/2

(2) الذهبي- التفسير والمفسرون:113/1- دار إحياء التراث العربي-بيروت

(3) مساعد مسلم- أثر التطور الفكري في التفسير: ص54- مؤسسة الرسالة، ومقدمة التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور- 14/1، الدار التونسية للنشر-1984

من الذين رجعوا إلى شواهد الشعر القديم بشكل واسع، وبهذا كان تفسير الطبري لب التفسير بالمأثور والقمة العالية التي وصل إليها هذا الإتجاه.(1)

ثم ألف في التفسير طائفة من المتأخرين، فاختصروا الأسانيد ونقلوا أقوالا بتراء فدخل من ههنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في شتى العلوم، ومنهم من ملأ كتابه بما غلب على طبعه من العلم واقتصر على ما تمهر هو فيه، فالنحوي تراه ليس له هم إلا الإعراب، والإخباري ليس له شغل إلا القصص والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه، وصاحب العلوم العقلية قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، يعنى بذكر شبههم والرد عليها، والمبتدع ليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد. وهكذا فسر صاحب كل فن أو مذهب بما يتناسب مع فنه أو يشهد لمذهبه.(2)

وتلك نبذة وجيزة عن التفسير أردت أن أمهد بها إلى الحديث عن رأي ابن الجوزي فيما سبقه من المفسرين، وموقفه من مناهج التفسير السابقة له.

---

(1) عمر رضا كالة- علوم الدين الإسلامي. ص:64- مطبعة الحجاز- دمشق- 1394هـ-1974م

(2) التفسير والمفسرون: 147/1

موقف ابن الجوزي ورأيه في التفاسير
والدافع إلى تأليف زاد المسير

كان ابن الجوزي غزير المعرفة واسع الإطلاع، ذا همة عالية في البحث والتحقيق والتأليف والتصنيف، ولا ريب أنه قد أطلع في جملة ما اطلع عليه من التصانيف الإسلامية على كتب التفسير، ولم يكن –وهو العالم المحقق– بيقف منها موقفا دون أن يمحص أو يدقق أو يضعها في ميزان النقد العلمي، وظاهر من كلامه في مقدمة كتاب "زاد المسير" أنه لم يرض الطريقة التي صنفت بها كتب التفسير ولا المناهج التي سلكها المؤلفون في بيان معاني القرآن وإيضاح أحكامه وحكمه والكشف عما فيه من معارف جمة وأسرار عظيمة) بل رآها لا تفي بالمقصود مما يجعل القارئ مضطرا إلى أن ينظر في كتب عديدة من كتب التفسير ليقف عن حقيقة المعنى الذي تضمنت الآية، فبعض المفسرين يخل بعلم الناسخ والمنسوخ، وبعضهم لا يعنى بأسباب النزول فإن وجد ذلك عند بعض فإنه يهمل بيان المكي والمدني أو يغفل الإشارة إلة حكم الآية، وبعض المفسرين لا يعن بدفع الإشكال الذي قد يوجد في آية من آي القرآن العظيم. يقول ابن الجوزي في مقدمة كتابه "دار المسير" ما نصه :

(لقد رأيت جمهور كتب التفسير لا يكاد الكتاب منها يعني بالمقصود كشفه حتى ينظر للآية الواحدة في كتب، فرب تفسير أخل فيه بعلم الناسخ والمنسوخ أو بعضه فإن وجد فيه لم يوجد أسباب النزول أو أكثرها، فإن وجد لم يوجد بيان المكي والمدني، وإن وجد ذلك لم توجد الإشارة إلى حكم الآية، فإن وجد لم يوجد جواب إشكال إلى غير ذلك من الفنون المطلوبة.)(1)

ونفهم من كلام ابن الجوزي هذا أنه يريد تحقيق منهج متكامل لتفسير القرآن العظيم، يحاط فيهل بالآية إحاطة شاملة فتتضح معانيها للقارئ جلية ناصعة، ويجد بيانها وافيا شافيا، وهو الهدف الذي توخاه، وقصد الوصول إليه في كتابه (زاد المسير). يقول ابن الجوزي :

(وقد ادرجت في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة مع ما لم أذكره مما لا يستغني التفسير عنه ما أرجو به قوع الغناء بهذا الكتاب عن أكثر ما يجانسه)(2).

---

(1) زاد المسير في علم التفسير: 6/1– المكتب الإسلامي– بيروت–ط:3–1404هـ–1984م

(2) المرجع السابق: 1/

المبحث الثالث

هل كان لابن الجوزي تفسير آخر غير كتاب (زاد المسير)

فسادها في كتاب المغني في التفسير.)[1].

الموضع الثاني : في سورة النور

قال عند تفسير قوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْأِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ.﴾[4]،(وقد ذكرنا حديث الأفك في كتاب الحدائق وفي كتاب المغني في التفسير فلم نطل بذكره لأن غرضنا اختصار هذا الكتاب ليحفظ.)[2]

الموضع الثالث : في سورة الأحزاب

قال عند تفسير قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ ﴾، (وقدذكرت حديث التخيير في كتاب الحدائق وفي المغني بطوله)[3].

الموضع الرابع : في سورة الحجرات

قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[4]، (وقد ذكرت القصة في كتاب المغني، وفي الحدائق مستوفاة)[5].

الموضع الخامس : في سورة البروج

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾[6]، قال بعد ذكر الحديث (وهذا مختصر الحديث، وقد ذكرته في المغني والحدائق بطوله من حديث صهيب عن رسول الله صلى الله عليه

---

(1) زاد المسير:209/4

(2) زاد المسير: 17/6

(3) زاد المسير:376/6

(4) الحجرات:6

(5) زاد المسير:461/7

(6) البروج:4

المبحث الرابع

تعريف عام بكتاب : (زاد المسير في علم التفسير)

وقد وصفه عمر رضا كحالة بأنه من الكتب الوجيزة في التفسير حيث قال: (ويمكن تصنيف الكتب المؤلفة في التفسير إلى وجيز، وبسيط، ووسيط فمن الكتب الوجيزة في التفسير :زاد المسير لابن الجوزي)[1]، وكتاب زاد المسير مطبوع عدة مرات من طرف " المكتب الإسلامي" قام بتصحيحه، وتخريج نصوصه والتعليق عليه والإشراف على طبعه الأساتذة : محمد زهير الشاويش، وشعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، وهي الطبعة التي أعتمدت عليها في بحثي وللكتاب طبعة أخرى من طرف دار الفكر للطباعة والنشر سنة 1987م بتحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله، والسعيد بن بسيوني زغلول.

مقدمة كتاب (زاد المسير):

لكل تفسير مقدمة يبين فيها مؤلفه الخطوط العريضة لمنهجه في التفسير، والأهداف التي يقصد إلى تحقيقها، والأسباب الداعية إلى تصنيف ذلك الكتاب، أو يذكر فيها العلوم التي لها صلة ولم بالتفسير، ومثال ذلك مقدمة تفسير القرطبي المسمى (الجاكع لأحكام القرآن)، ومقدمة ابن جزي المسمى : (التسهيل لعلوم التنزيل).

ولم يخل (زاد المسير) من مثل تلك المقدمات غير أنها تعتبر مقدمة قصيرة بالقياس إلي غيرها من مقدمات كتب التفسير.

افتتح ابن الجوزي المقدمة بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة على نبيه بذكر السبب الذي دعاه إلى تأليف الكتاب (لما كان القرآن أشرف العلوم كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم وإني نظرت في جملة كتب التفسير فوجدتها بين كبير قد يئس الحافظ منه، وصغير لا يستفاد كل المقصود منه والمتوسط منها قليل الفائدة عديم الترتيب، وربما أهمل فيه المشكل وتشرح غير الغريب فأتيتك بهذا المختصر اليسير منطويا على العلم الغزير)[2]. ثم تعرض ابن الجوزي إلى فضل علم التفسير باختصار شديد ومن جملة ما ذكر في هذا الشأن:(روى أبو عبد الرحمان السلمي عن ابن مسعود قال كنا نتعلم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- العشر فلا نجاوزها إلى العشر الأخر حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل).

وقال إياس بن معاوية : مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره أو لا يعلم مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم بليل وليس عندهم مصباح)فتداخلهم لمجيء الكتاب روعة لا يدرون ما

---

(1) عمر رضا كحالة- علوم الدين الإسلامي - ص:69

(2) زاد المسير :3/1

الزمخشري إسمه الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، وهذا يدل على أن الإصطلاح العلمي الذي سار عليه العلماء، والذي لا يزال جاريا إلى اليوم بين الباحثين، أن التأويل والتفسير بمعنى واحد.(1)

والذين فرقوا بين التأويل والتفسير ذهبوا إلى أن التفسير أعم من التأويل أو أن التفسير للمعنى الظاهر، والتأويل اللمعنى الباطن وقال فريق منهم إن التفسير يؤخذ من وضع العبارة، والتأويل يستفاد من طريق الإشارة.

والتأويل عند المفسرين غيره عند المتكلمين الذي هو صرف نصوص ما تشابه من الكتاب والسنة عن ظاهره إلى معان تتفق وتنزيله الله تعالى عن المشابهة والمماثلة.(2)

وتعرض ابن الجوزي في مقدمة كتابه إلى المدة التي استغرقها نزول القرآن الكريم، وأقوال العلماء في أول ما نزل ، وآخر ما نزل فقال في ذلك :(روى عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى بيت العزة، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، وقال الشعبي: فرق الله تنزيل القرآن فكان بين أوله وآخره عشرون سنة)(3).

ثم قال بعد ذلك ز(واختلفوا في أول ما نزل من القرآن فأثبت المنقول أن أول ما نزل ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾(4) رواه عروة عن عائشة، وروي عن جابر بن عبد الله أن أول ما نزل ﴿ **يا أيها المدثر**﴾)(5). والصحيح أنه لما نزل عليه ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** ﴾ رجع فتدثر ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾. واختلفوا في آخر ما نزل فروى البخاري في أفراده من حديث ابن عباس قال : آخر آية نزلت على النبي –صلى الله عليه وسلم– آية الربا، وفي أفراد مسلم آخر سورة نزلت جميعا ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾(6)، وروى الضحاك عن ابن عباس قال آخر آية نزلت ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا**

---

(1) د.مساعد مسلم- أثر التطور الفكري في التفسير:ص:51

(2) مناهل العرفان:2/5

(3) زاد المسير :1/5

(4) العلق:1

(5) المدثر: 1

(6) النصر:1

ينقسم التفسير إلى مدرستين كبيرتين تعرف الأولى بمدرسة التفسير بالأثر بينما يطلق على الأخرى مدرسة التفسير بالرأي.

أما التفسير بالمأثور فيشمل ما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم وكذلك ما نقل عن التابعين من كل ماهو بيان لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم(1).

وأما التفسير بالرأي فهو تفسير القرآن بالإجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجود دلالتها واستعانته في ذلك بالشعر ووقوفه على أسباب النزول ومعرفته بالناسخ والمنسوخ وغير ذلك من الأدوات التي تحتاج إليها المفسر.(2)

ومدرسة التفسير بالأثر أسبق في الظهور لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفسر ما أشكل على الصحابة من القرآن الكريم وكانوا -رضي الله عنهم- يفهمونه بسهولة ويسر لأنه نزل بلغتهم وهي مادة أدبهم وكلامهم، وعليهم تتلمذ التابعون وأخذوا عنهم فهمهم وتفسيرهم، فكان التابعون أعلم بتفسير القرآن المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من الذين جاءوا بعدهم وأهم معالم هذه المدرسة ما يلي :

1- تفسير القرآن الكريم بالقرآن :

فما أجمل منه في موضع فقد فسر في موضع آخر، وأما اختصر منه في موضع فقد بسط في موضع آخر، ثم إن في القرآن الكريم آيات يستدل على تفسيرها بنظائرها.

2 السنة النبوية :

لأنها شارحة القرآن وضحة له، ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن الله وقد قال رسول الله ﴿ **ألا إني اوتيت القرآن ومثله معه**﴾

---

(1) التفسير والمفسرون: 152/1

(2) نفس المصدر: 255/1

وبعد أن عرفنا معالم كل من المدرستين يمكن لنا أن نحدد الإتجاه الذي ينتمي إليه تفسير (زاد المسير). إن القراءات المتأنية للكتاب تعرفنا عن ذلك وتعيننا على تحديد الإتجاه، فابن الجوزي عندما يتعرض لتفسير آيات الذكر الحكيم ينهج نهج الأثريين في بيان المراد من الآية وذلك بالتماس معناها في القرآن نفسه يقول عند تفسير قوله تعالى (﴿ **وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ** ﴾ (1) أي أوزار أنفسهم وأوزارا مع أوزارهم وهي أوزار الذي أضلوهم. وهذا كقوله تعالى ﴿ **لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ** .﴾(2)). ويقول عند تفسير قوه تعالى ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ** ﴾(3) وفي الكلمات أقوال أحدها : أنها قوله تعالى ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾(4).

كما يستعين بالحديث الشريف أحيانا في تفسير الآية من ذلك تفسيره للطوفان بمعنى الموت في قوله تعالى: ﴿ **فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ أي الموت روت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ **فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ** ﴾، قال : الموت(5)

ويقول في تفسير قوله تعالى ﴿ **وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ**﴾ (6)، كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم فذلك المنكر، روته أم هانئ بنت أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.(7)

ويقول في تفسير قوله تعالى ﴿ **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** ﴾(8)، معناه : ولذكر الله أياكم أكبر من ذكركم إياه. رواه ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.(9)

---

(1) العنكبوت:13

(2) النحل :25- زاد المسير:261/6

(3) البقرة:37- زاد المسير:69/1

(4) الأعراف:23

(5) زاد المسير:262/6

(6) العنكبوت:29

(7) زاد المسير، والحديث في مسند أحمد:341/6، والترمذي 150/2

(8) العنكبوت: 45

(9) زاد المسير: 275/6، والحديث أورده السيوطي في الدر المنثور:146/5

الـــفـصل الـثاني

مـــصـــادره فـي الـــتـفسير

المبـــحث الأول : مصادره من كـــتـــب اللغويين وأصحاب المعاني

المبـــحث الـثاني : مصـــادره من كتب التفسير

المبـــحث الثالث : مـــصادره من كتب الحديث

قال ابن الجوزي بعد تفسير الآية (فإن قيل كيف وحد فقال : ﴿ **كَمَثَلِ الَّذِي استوقد نارا** ﴾ ثم جمع فقال ﴿**ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِم** ﴾، فالجواب : أن ثعلبا حكى عن الفراء أنه قال، إنما ضرب الله المثل للفعل لا لأعيان الرجال، وهو مثل للنفاق. وإنما قال ﴿ **ذَهَبَ اللَّهُ بنورِهِمْ** ﴾ لأن المعنى ذاهب إلى المنافقين فجمع لذلك)[1].

ونص كلام الفراء في كتابه (معاني القرآن):

(إنما ضرب المثل –والله أعلم– للفعل لا لأعيان الرجال وإنما هو مثل للنفاق فقال: مثلهم كمثل الذي استوقد نارا، ولم يقل، الذين استوقدوا. وإنما قال الله عز وجل : ﴿ **ذَهَبَ اللَّهُ بنورِهِمْ** ﴾ لأن المعنى ذهب إلى المنافقين فجمع لذلك ولو وحد لكان صوابا)[2].

وأكثر إفادات ابن الجوزي من الفراء هي في الناحية اللغوية وجانب الإعراب : ففي قوله تعالى ﴿ **الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا** ﴾[3]، يقول ابن الجوزي قال الفراء : وإنما خفض الظالم لأنه نعت للأهل، فلما عاد الأهل إلى القرية كان فعل ما أضيف إليها بمنزلة فعلها، تقول: مررت بالرجل الواسعة داره [4]، وهو نفس كلام الفراء في كتابه المعاني إذ قال (وإنما خفض الظالم لأنه نعت للأهل فلما عاد الأهل على القرية كان فعل ما أضيف إليها بمنزلة فعلها تقول ، مررت بالرجل الواسعة داره.)[5].

وفي قوله تعالى ﴿ **أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِم** ﴾[6]

ينقل ابن الجوزي عن الفراء فيقول : قال الفراء: في نصبه وجهان: إن شئت جعلته معطوفا على قوله (ليقطع طرفا) وإذ شئت جعلت نصبه على مذهب حتى كما تقول لا أزال معك حتى تعطيني.[7]

---

(1) زاد المسير: 39/1

(2) الفراء– معاني القرآن: 15/1– عالم الكتاب– الطبعة الثالثة–1403-1983

(3) النساء:75

(4) زاد المسير: 132/2

(5) معاني القرآن: 277/1

(6) آل عمران:128

(7) زاد المسير: 451/1

ونص كلام الفراء من المعاني كما يلي : قوله تعالى ﴿ أَوْ يتوب عليهم ، أو يعذبهم ﴾ في نصبه وجهان، إن شئت جعلته معطوفا على قوله ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ ﴾ أي ﴿أو يتوبَ عليهِمْ ﴾، وإن شئت جعلت نصبه على مذهب حتى، كما تقول لا أزال ملازمك أو تعطيني حقي، أو إلا أن تعطيني حقي)[1].

2- مجاز القرآن لأبي عبيدة (معمر هن المثنى التيمي ت210 هـ)

لأبي عبيدة كتاب في التفسير يعرف ب(مجاز القرآن) وقد أفاد منه ابن الجوزي كثيرا وهذه بعض الأمثلة :

عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي ﴾[2]

يقول ابن الجوزي نقلا عن أبي عبيدة : قال أبو عبيدة : مجاز هذا الكلام مجاز المختصر الذي فيه ضمير والمعنى وقلنا له وإن جاهداك[3].

وهذا كلام أبي عبيدة المجاز بنصه الحرفي إذ يقول أبو عبيدة في تفسير الآية المذكورة (﴿وإن جاهداك ﴾ مجازه مجاز المختصر الذي فيه ضمير كقولك وقلنا له وإن جاهداك.)[4].

وفي قوله تعالى ﴿ وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾[5]

ينقل ابن الجوزي عن أبي عبيدة فيقول : قال أبو عبيدة معناه : لا يوفق لها ولا يرزقها إى الصابرون[6].

ونص كلام أبي عبيدة من كتاب (المجاز) كما يلي (مجازه : لا يوفق لها ولا يرزقها ولا يلقاها إلا الصابرون)[7].

---

(1) معاني القرآن: 234/1

(2) لقمان:15

(3) زاد المسير : 258/6

(4) أبو عبيدة- مجاز القرآن:113/2- تحقيق-د. فؤاد سزكين- مكتبة الخانجي- مصر

(5) القصص:80

(6) زاد المسير:244/6

(7) مجاز القرآن:111/2

أما في قوله تعالى ﴿ ووجدك عائلا فأغنى ﴾(1)

فيقول ابن الجوزي عند تفسير الآية : قال أبو عبيدة ووجدك ذا فقر وأنشد :

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل

وهو نفس كلام أبي عبيدة في مجاز القرآن إذ يقول في تفسير الآية : (﴿ ووجدك عائلاً ﴾ ذا فقر قال الشاعر: وما يدري الفقير متىغناه — وما يدري الغني متى يعيل)(2).

والأمثلة على إفادة ابن الجوزي من كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة كثيرة جدا منها ما سبقت الإشارة إليه ومنها أيضا هذه الأمثلة الأخرى :

في قوله تعالى ﴿ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ ﴾(3)

قال ابن الجوزي : السفع : الأخذ، قال أبو عبيدة : يقال : سفعت بيده : أي أخذت بها.(4)

وفي قوله تعالى ﴿ يمكرون بالسيئات ﴾(5)

قال ابن الجوزي : قال أبو عبيدة يمكرون بمعنى : يكتسبون ويجترحون.(6)

وفي قوله تعلى ﴿ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾(7)

قال ابن الجوزي نقلا عن أبي عبيدة : مجازه يقيمون الصلاة ومعناه أداموا الصلاة بمواقيتها وحدودها.(8)

---

(1) الضحى:8

(2) مجاز القرآن:301/2

(3) العلق: 15

(4) زاد المسير: 179/9

(5) فاطر: 10

(6) زاد المسير: 487/6

(7) فاطر: 18

(8) زاد المسير: 487/6، ومجاز القرآن: 153/2-155

معاني القرآن للأخفش [1]: (أبو الحسن سعيد بن مسعدة ت 215هـ)

الأخفش من أصحاب المعاني، وله كتاب يسمى (معاني القرآن) عني فيه بالنحو والإعراب، وقد استشهد ابن الجوزي بأقوال الأخفش ولكنها تعد قليلة إذا قورنت بأقوال غيره من أصحاب المعاني ومن أمثلة ذلك :

عند قوله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾[2]

يقول ابن الجوزي : قال الأخفش : شهر الرمضان بالرفع على تفسير تفسير الأيام كأنه لما قال أياما معدودات فسرها فقال هي : شهر رمضان [3]

وعند تفسيره قوله تعالى ﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ ﴾[4]

يقول ابن الجوزي : قال الأخفش : نصب استكبارا على البدل من النفور.[5]

وقال عند تفسيره قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾[6]

معناه : إلا من سفه نفسه ، قاله الأخفش، قال يونس ولذلك تعدى إلى النفس فنصبها. وقال الأخفش نصبت النفس لاسقاط حرف الجر لأن المعنى إلا من سفه في نفسه.[7]

4- **ابن قتيبة**[8] : (ت276هـ)

لابن قتيبة كتابان في تفسير القرآن، يعرف الأول بكتاب (تأويل مشكل القرآن) ويسمى الثاني (تفسير غريب القرآن). ويعد هذان المصدران في الطليعة من الكتب التي أفاد منها ابن الجوزي في

---

(1) الأخفش: سعيد بن مسعدة المجاشعي أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط، لغوي أديب، أخذ النحو على سيبويه ت215هـ- معجم المفسرين: 210/1

(2) البقرة: 185

(3) زاد المسير: 497/1 وانظر معاني القرآن للأخفش- 352/1- اعالم الكتاب-ط:1-1985

(4) فاطر: 43

(5) زاد المسير: 187/6

(6) البقرة:130

(7) زاد المسير: 147/1، ومعاني القرآن للأخفش:337/1

(8) بن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد النحوي اللغوي، ولد ببغداد سنة 213هـ.وتوفى سنة 276 هـ- وفيات الأعيان:42/3

تفسيره، فقد استشهد بأقوال ابن قتيبة من هذين الكتابين في مواضع عديدة أذكر منها على سبيل المثال :

عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾(1)

يقول ابن الجوزي نقلا عن ابن قتيبة : (قال ابن قتيبة : هلم بمعنى "تعال" وأهل الحجاز لا يثنونها ولا يجمعونها، وأهل نجد يجعلونها من "هلممت" فيثنون ويجمعون ويؤنثون، وتوصل باللام فيقال هلم لك، وهلم لكما)(2). ونص الكلام من كتاب (مشكل اقرآن) كما يلي :

(هلم بمعنى تعال، وأهل الحجاز لا يثنونها ولا يجمعونها، وأهل نجد يجعلونها من "هلممت" فيثنون ويجمعون ويؤنثون فتوصل باللام فيقال هلم لك وهلم لكما).(3)

وعند تفسير قوله تعالى :﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾(4)

ينقل ابن الجوزي ع ابن قتيبة معنى لولا وأحكامها فيقول :(لولا بمعنى : هلا. قال ابن قتيبة: إذ رأيتها بغير جواب فهي بمعنى "هلا"، نقول لولا فعلت كذا، ومثلها "لوما" فإذا رأيت لولا جوابا فليست بمعنى "هلا" إنما هي التي تكون لأمر يقع بوقوع غيره لقوله ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾)(5)

أما نص كلام ابن قتيبة في "مشكل القرآن " فهو كما يلي :

(لولا تكون بمعنى "هلا" وذلك إذا رأيتها بغير جواب تقول لولا فعلت كذا تريد هلا فعلت كذا وكذلك "لوما" قال ﴿ لَوْمَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ ﴾ أي هلا. فإذا رأيت للولا جوابا فليست بهذا المعنى كقوله ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ فهذه لولا التي تكون لأمر لا يقع لوقوع غيره).(6)

---

(1) الأنعام: 151

(2) زاد المسير: 164/3

(3) ابن قتيبة- تأويل مشكل القرآن: 541/1- تحقيق السيد أحمد صقر- المكتبة العلمية- الطبعة 3- 1401هـ-1981م

(4) النساء: 77

(5) زاد المسير: 135/2

(6) ابن قتيبة- تأويل مشكل القرآن-541/1

وعند تفسيره قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾[1]، ينقل ابن الجوزي من كتاب "تفسير غريب القرآن" قول ابن قتيبة فيقول : وهذا على جهة التعجب كما تقول ألا ترى إلى ما يصنع فلان.[2]

أما نص كلام ابن قتيبة من (غريب القرآن) فهو نفس ما نقله ابن الجوزي إذ يقول ابن قتيبة (﴿ألم تر﴾ على جهة التعجب كما تقول ألا ترى ما يصنع فلان)[3].

وفي قوله تعالى ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[4]

يقول ابن الجوزي : المعنى أنهم كانوا يخادعون المؤمنين، فكأنهم خادعوا الله، روي عن ابن عباس واختاره ابن قتيبة[5]. ونص ابن قتيبة في (غريب القرآن) كما يلي :

(يريد أنهم يخادعون المؤمنين بالله فإذا خادعوا المؤمنين بالله فكأنهم خادعوا الله.)[6]

5- معاني القرآن وإعرابه للزجاج[7] : (ت 311)

للزجاج كتب يسمى (معاني القرآن وإعرابه) استفاد منه ابن الجوزي كثيرا ولعل اسم "الزجاج" أكثر الأسماء ذكرا في تفسير ابن الجوزي. أما الأمثلة على إفادة ابن الجوزي من كتاب زجاج فكثيرة جدا أذكر منها :

عند تفسيره قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾[8]

يقول ابن الجوزي نقلا عن الزجاج : (قال الزجاج : إذا علم الرجل أنه قتل قتل أمسك عن القتل فكان في ذلك حياة للذي هم بقتله ولنفسه لأنه من أجل القصاص أمسك.)[9]

---

(1) البقرة: 243

(2) زاد المسير: 287/1

(3) ابن قتيبة- تفسير غريب القرآن:92- تحقيق أحمد صقر- دار الكتب العلمية- بيروت

(4) البقرة: 90

(5) زاد المسير: 29/1

(6) تفسير غريب القرآن:40

(7) الزجاج: ابراهيم بن السرى بن سهل أبة إسحاق الزجاج: نحوي لغوي مفسر، مولده ووفاته ببغداد (241-311هـ)- معجم المفسرين: 13/1

(8) البقرة: 179

(9) زاد المسير: 171/1

وعبارة الزجاج في (معاني القرآن) كما يلي :

(ومعنى الحياة في القصاص أن الرجل إذا علم أنه قتل إن قتل أمسك عن القتل، ففي إمساكه عن القتل حياة الذي هم هو بقتله وحياة له لأنه من أجل القصاص أمسك عن القتل.)[1]

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[2]

يقول ابن الجوزي : قال الزجاج : لم يأمركم بالتصدق عن عوز لكنه بلا أخباركم فهو حميد على ذلك[3]. ونجد العبارات نفسها في كتاب معاني القرآن إذ يقول الزجاج : (أي لم يأمركم بأن تصدقوا عن عوز ولكنه لإختباركم، فهو حميد على ذلك وعلى جميع نعمه.)[4]

كما يستعين ابن الجوزي بالزجاج عند شرحه لقول الله عز وجل ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾[5].

فيقول : قال الزجاج : هذا خاص للمؤمنين أعلمهم الله أنه قد علم أن مراد ماعنده وإذ أعلمهم بصحة قصدهم فقد أعلمهم بالجزاء عليه[6]. وأكثر إفادات ابن الجوزي منهم من الزجاج نجدها في الإعراب والتصريف والإشتقاق من ذلك ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى ﴿ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[7]، إذ قال ابن الجوزي : قال الزجاج: كتاب منصوب على التوكيد محمول على المعنى لأن معنى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ كتب الله عليكم هذا كتابا، ويجوز أن ينتصب على جهة الأمر فيكون المعنى الزموا كتاب الله.[8]

---

(1) الزجاج- معاني القرآن وإعرابه: 235/1- تحقيق- عبد الجليل شلبي- منشورات المكتبة العصرية- بيروت

(2) البقرة :267

(3) زاد المسير: 323/1

(4) معاني القرآن وإعرابه: 248/1

(5) البقرة: 272

(6) زاد المسير: 372/1، ومعاني القرآن وإعرابه: 355/1

(7) النساء: 24

(8) زاد المسير: 51/2

ونص كلام الزجاج في المعاني : (وقوله كتاب الله عليكم : منصوب على التوكيد محمول على المعنى، لأن معنى قوله : حرمت عليكم أمهاتكم : كتب الله عليكم هذا كتابا، وقد يجوز أن يكون منصوبا على جهة الإمر، ويكون "عليكم" مفسرا له فيكون المعنى الزموا كتاب الله.)[1]

وفي قوله تعالى: ﴿ واللاَّتِي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾[2]

يورد صاحب زاد المسير قول الزجاج في تصريف (اللاتي) فيقول : قال الزجاج: التي تجمع اللاتي واللواتي. قال الشاعر :

من اللواتي والتي واللاتي زعمن أن أني كبرت لداتي

وتجمع اللاتي إثبات الياء وحذفها، قال الشاعر

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة - ولكن ليقتلن البريء المغفلا[3]

تفسير ابن الأنـــباري[4] : (محمد بن القاسم ت 372هـ)

استشهد ابن الجوزي كثيرا في تفسيره بأقوال ابن الأنباري، ولا سيما في المسائل اللغوية، ومن أمثلة ذلك :

قال ابن الجوزي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ ﴾[5].

قال ابن الأنباري : هذه الواو معناها التفريق وليست جامعة فالمعنى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى، وانكحوا ثلاث في غير الحالة الأولى، وانكحوا رباع في غير الحالين.[6]

---

(1) معاني القرآن: 51/2

(2) النساء: 15

(3) زاد المسير: 34/2. ومعاني القرآن وإعرابه: 26-27

(4) ابن الأنباري: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان أبو بكر الأنباري، نحوي، لغوي، مفسر، توفى ببغداد سنة 372هـ.معجم المفسرين:604/2

تنبيه : لم أعثر على تفسير ابن الأنباري

(5) النساء: 3

(6) زاد المسير: 8/2

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾(1)

قال ابن الجوزي: قال ابن الأنباري معنى الآية كلكلم بنو آدم فلا يتداخلكم شموخ وآنفة من تزوج الإماء عند الضرورة.(2)

أما في قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾(3)

فيقول ابن الجوزي : في معنى الآية قولان ذكرهما ابن الأنباري :

أحدهما: سأسأل الله لك توبة تنال بها مغفرته

والثاني : وعده الإستغفار وهو لا يعلم أن ذلك محظور في حق المصرين على الكفر (4)

تلك أهم المصادر ذات الطابع اللغوي في تفسير ابن الجوزي، وأشهر أسماء اللغويين وأكثرهم ذكرا في كتاب (زاد المسير) وهناك أسماء أخرى لا تقل مكانة عنها، جاء ذكرها في الكتاب ولكن في مواضع قليلة كثعلب(5)، والمبرد(6)، والخليل(7)، وابن فارس(8) وقطرب(9).

---

(1) النساء: 25

(2) زاد المسير: 57/2

(3) مريم :47

(4) زاد المسير

(5) ثعلب : أبو العباس أحمد بن زيد بن سيار النحوي الشيباني المعروف بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان ثقة صالحا مشهورا بالحفظ. ت291هـ ببغداد- وفيات الأعيان: 84/1

(6) المبرد : أبو العباس محمد يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد بن عبد الله الأزدي البصري النحوي، من أهم كتبه (الكامل). ت286هـ. وفيات الأعيان: 441/3

(7) الخليل : بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي- كان إماما في علم النحو، وهو واضع علم العروض، من كتبه (العين). ت175هـ.

(8) ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب اللغوي، من علماء اللغة وأئمتها. ت390هـ. الوفيات: 100/1

(9) قطرب : أبو علي بن محمد (المستنير بن أحمد النحوي اللغوي. أخذ اللغة عن سيبويه، من كتبه (معاني القرآن). ت206هـ. وفيات الأعيان:439/3

وإن تدل هذه الأسماء اللامعة على شيء فإنما تدل على مبلغ عناية ابن الجوزي بالجانب اللغوي في تفسير القرآن العظيم عناية باللغة تجعل الإتجاه اللغوي سمة من سمات تفسير (زاد المسير).

المبحث الثاني

التفاسير المأثورة

تعد التفاسير المأثورة عن الرسول -صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم- من أهم المصادر والروافد التي استمد منها ابن الجوزي مادة كتابه(زاد المسير).

ولكن الجدير بالإشارة في هذا المقام أن ابن الجوزي إذا ذكر الأقوال المأثورة في التفسير عن الرسول - صلى الله عليه وسلم- أو الصحابة والتابعين فإنه يذكرها محذوفة الأسانيد مكتفيا بنسبة كل قول إلى صاحبه خلافا لما تفعله بعض كتب التفسير بالمأثور كتفسير (الطبري)[1] المسمى (جامع البيان) وتفسير (البغوي)[2] المسمى (معالم التنزيل) أو تفسير الحافظ ابن كثير[3] المسمى (تفسير القرآن العظيم). وقد يكون سبب ذلك ان ابن الجوزي قصد في كتابه (زاد المسير) الإختصار والإيجاز فعمد إلى الإكتفاء بذكر الأقوال دون الأسانيد.

ونذكر في هذا المبحث نماذج من التفسير بالمأثور التي وردت في كتاب (زاد المسير).

1- من تفاسير الرسول -صلى الله عليه وسلم- :

قال ابن الجوزي عند تفسيره قوله تعالى(﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴾ [4]

أي تخبر بما عمل عليها. وفي حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- أنه قال : (أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال : أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا)[5]

وقال عند تفسيره قوله تعالى:(﴿ **فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً** ﴾[6].

هو أن تعرض عليه سيئاته ثم يغفرها الله له، وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها

---

(1) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري.ت310هـ.انظر ترجمته في وفيات الأعيان:232/2

(2) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالبغوى الفراء: ت510هـ..وفيات الأعيان: 145/1

(3) عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثير.ت 774هـ. معجم المفسرين: 92/1.

(4) الزلزلة:4

(5) زاد المسير:103/9 والحديث رواه الترمذي في (سننه) 171/2 والسيوطي في (الدر): 380/6

(6) الإنشقاق :8

قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب هلك، فقلت يا رسول الله، فإن الله يقول ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾ قال: ذلك العرض)[1].

وعند تفسيره قوله تعالى ﴿ والبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[2]

يقول ابن الجوزي: روى أبو هريرة عن رسول الله -صلىى الله عليه وسلم- أنه قال : إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه، وعن العدو أن تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر فقولوها فإنهن الباقيات الصالحات.[3]

مـــن تفاسيـــر الـــصحابة :

احتوى تفسير ابن الجوزي على نقول كثيرة من تفاسير الصحابة، وأكثر الصحابة ذكرا في تفسيره عبد الله بن عباس، تكاد تجد ذكره عن تفسير كل آية، وهذه بعض النماذج :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾[4]

يقول ابن الجوزي : قال ابن عباس : لا تشركوا مع الله أحدا.[5]

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ اليَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴾[6]

يقول صاحب زاد المسير : قال ابن عباس معناه : فاز من غلب[7]

أما في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴾ [8]

فيقول ابن الجوزي : قال ابن عباس: خسر من أشرك بالله.[9]

---

(1) زاد المسير: 64/9. والحديث في البخاري: 176/1

(2) الكهف:46

(3) زاد المسير: 179/5. والحديث أورده السيوطي في "الدر": 225/4

(4) طه: 61

(5) زاد المسير: 301/5

(6) طه: 64

(7) زاد المسير: 296/5

(8) طه: 111

(9) زاد المسير: 324/5

وبالإضافة إلى ابن عباس نجد في تفسير ابن الجوزي أقوال بعض الصحابة الآخرين كابن مسعود، وابن عمر وجابر بن عبد الله.

فعند تفسير قوله تعالى :﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴾[1]

قال ابن الجوزي : معناه إنفاق المال في غير حق، قاله عبد الله بن مسعود[2]

وفي قوله تعالى : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾[3]

يقول المؤلف : هي الشفاعة للناس يوم القيامة، قاله ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان،: وابن عمر، وجابر بن عبد الله.[4]

---

(1) الإسراء: 62

(2) زاد المسير: 27/5

(3) الإسراء: 79

(4) زاد المسير: 76/5

التابعون هم تلاميذ الصحابة الكرام، ورواة أقوالهم ، وهم أعلـم النـاس بالتفسير بعـد الصحابـة رضوان الله عليهم، وقد اعتمد ابـن الجـوزي في (زاد المسـير) كثـيرا علـى أقوالهـم وأزدادت بهـا صفحات كتابه، وهذه بعض النماذج من ذلك :

عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ لَعَلَكُمْ تُسْأَلُونَ ﴾(1)

يقول ابن الجوزي : قال قتادة (2): تسألون من دنياكم شيئا، استهزاءا بهم (3)

وعند قوله تعالى : ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾(4)

يقول ابن الجوزي : وفي معنى إقامتها قولان :

أحدهما : أنه تمام فعلها على الوجه المأمور به، روي عن مجاهد(5)

والثـاني : أنه المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها. قاله قتادة(6)

وفي تفسير قول اللع عز وجل : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(7)

يقول ابن الجوزي وفي المراد بهذه النفقة أربعة أقوال :

أحدهـما : النفقة على الأهل والعيال

والثـانـي : أنه الزكاة المفروضة، قاله قتادة

---

(1) الأنبياء: 13

(2) قتادة بن دعامة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر، حافظ للحديث من آثاره: (تفسير القرآن). ت118هـ. معجم المفسرين: 435/1

(3) زاد المسير: 342/5

(4) البقرة: 3

(5) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم تابعي من تلاميذ ابن عباس، إمام في التفسير. ت104هـ. معجم المفسرين: 140/2

(6) زاد المسير: 25/1

(7) البقرة: 4

والثـالث : أنها الصدقات النوافل: قاله مجاهد والضحاك[1]

والـرابع : أنها النفقة التي كانت واجبة فقبل وجوب الزكاة[2]

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[3]

قال ابن الجوزي: فيه أربعة أقوال :

أحدهـا : ادفع اساءة المسيء بالصفح. قاله الحسن[4]

والثاني : ادفع الفحش بالسلام. قاله عطاء[5] والضحاك

والثالث : ادفع الشرك والتوحيد. قاله ابن السائب

والرابـع : ادفع النمكر بالموعظة. حكاه الماوردي.[6]

---

(1) الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي الخرساني، تابعي جليل ومفسر مشهور وثقة العلمـاء. ت105هـ. معجـم المفسرين: 237/1

(2) زاد المسير: 26/1

(3) المومنون :96

(4) الحسن بن يسار البصري أبو سعيد من سادات التابعين، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمانـه. ت110هـ. معجـم المفسرين: 148/1

(5) عطاء : أبو محمد عطاء بن أبي رباح المكي القرشي، ولد سنة 27 هـ، وتوفي سنة 114 هـ

(6) زاد المسير :489/5

الـــمـبحـث الـثـالث :

مـــصـــادره من كتـب التـفسير

1- تـــفسيـــر الطبري

2- تـــفسير الثعلبي

3- تفسير الماوردي

من أهم كتب التفسير التي أفاد منها ابن الجـوزي، تفسير الطبري، وتفسـير الثعلبي، وتفسير الماوردي.

1- تـفسير الطبري : (ت 310هـ)

ويسمى هذا التفسير (جامع البيان في تفسير القرآن) وهو أشهر كتاب في التفسير على الإطلاق وقد نوه بمكانته العلماء، وله من المزايا الكثيرة ما جعله يتبوأ منزلة رفيعة بين كتب التفسير، إذ أنـه أول كتاب متكامل في التفسير بالمأثور جمع شتات الكتب التي ألفت في التفسير قبله، وكانت إمـا تفاسير بالمأثور غير كاملة، وإما تفاسير تختص بالغريب والإعراب ونحو ذلك.

وامتاز بالترجيح بين الأقوال بعد ذكرها بأسانيدها إلى أصحابها مع ذكر أسباب الترجيح غالبـا. وهو أهم مصدر تفسيري يحتفظ بتفاسير الصحابة والتابعين، وقبل ذلك بالتفسير النبوي مسندة إلى أصحابها معزوة إلى ناقليها مما جعلـه مرجعا مهمـا لا يسـتغني عنـه أي مفسـر خاصـة في التفسـير المأثور.

فهو بحق معجم للأخبار والآثار التي لها صلة بالقرآن الكريم لفظا وموضوعا أو إشـارة نـاهيك عن أسابا النزول، ومناسبة الآيات والنصوص ببعضها وبالآثار[1]. ولا نغـالي إذا قلنـا إن مـن جـاء بعده من المفسرين فهم عيال عليه.

وقد أفاد منه ابن الجوزي في كتابه (زاد المسير) كثيرا إما بنقل كلامـه بنصـه أو بـالمعنى أحيانـا. وهذه بعض الأمثلة على استعانة ابن الجوزي لتفسير الطبري :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[2]

يقول ابن الجوزي : (وقيل معنى لا يستحي : لا يترك. وحكى ابن جرير الطبري عن بعض اللغويين أن معنى لا يستحي : لا يخشى ومثله : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ أي تستحي منه، فالأستحياء والخشية ينوب كل منهما عن الآخر)[3]

---

(1) د.مساعد مسلم- وقفة مع الطبري- مجلة جامعة الأمير عبد القادر- ص:103. وانظر أيضا: التفسير والمفسرون: 209 .208/1

(2) البقرة :26

(3) زاد المسير : 54/1

ونص كلام الطبري في (جامع البيان) كما يلي :

(قوله تعلى: إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا)

(وأما تأويل قوله (إن الله لا يستحي) فإن بعض المنسوبين إلى المعرفة بلغة العرب كان يأول معنى لا يستحي أن الله لا يخشى أن يضرب مثلا ويستشهد على ذلك من قوله بقوله تعالى ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾. ويزعم أن معنى ذلك وتستحي الناس والله أحق أن تستحيه فيقول الاستحياء بمعنى الخشية، والخشية بمعنى الإستحياء.)(1)

وعند تفسير قوله تعالى ﴿مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾(2). ينقل ابن الجوزي عن الطبري أن المعنى ما بين البعوضة إلى ما فوقها ثم حذف ذكر(بين)و(إلى)إذ كان في نصب البعوضة ودخول الفاء في "ما" الثانية دلالة عليهما كما قالت العرب : له عشرون ما ناقة فجملا، وهي أحسن الناس ما قرنا فقدما)(3).

وهو نفس كلام الطبري في (الجامع) إذ يقول ابن جرير :

(معنى الكلام إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بين بعوضة إلى ما فوقها ثم حذف ذكر "بين" و"إلى" إذ كان في نصب البعوضة ودخول الفاء في "ما" الثانية دلالة عليهما كما قالت العرب: ما مطرنا ما زبالة فالثعلبية، وله عشرون ما ناقة فجملا، وهي أحسن الناس ما قرنا فقد ما يعنون ما بين قدمها وقرنها)(4)

وفي قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(5)

يقول ابن الجوزي في تفسير الوسطية : ذكر ابن جرير الطبري : أن الوسط معناه : من التوسط في الفعل فإن المسلمين لم يقصروا في دينهم كما فعل اليهود، قتلوا الأنبياء، ولم يغلوا كالنصارى فزعموا أن عيسى ابن الله.(6)

---

(1) الطبري- جامع البيان في تفسير القرآن: 139/1- دار الفكر- بيروت- 1398هـ-1978م

(2) البقرة: 26

(3) زاد المسير: 54/1

(4) جامع البيان: 140/1

(5) البقرة :143

(6) زاد المسير: 154/1

2- تفسير الثعلبي[1] : ت 427 هـ

للثعلبي تفسير يسمى (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)[2]، وهو من كتب التفسير بالمأثور الهامة، وقد ذكره ابن تيمية بخير فقال (والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين)[3] ولكن نبه إلى احتواء تفسيره على الضعيف والموضوع والأباطيل فقال : (وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع)[4].

ومهما يكن من أمر هذا الكتاب فإن ابن الجوزي قد اعتمد عليه في زاد المسير ونقل عنه نقولات لكنها لا تعد كثيرة إذا قورنت بكتب التفسير الأخرى التي نقل عنها ابن الجوزي.

ومن الأمثلة على تلك النقولات :

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾[5]

يقول ابن الجوزي : في معنى الشاهد والمشهود أقوال:[6]

أحدهما : أن الشاهد الأنبياء، والمشهود محمد -صلى الله عليه وسلم-

والثاني : أن الشاهد الله عز وجل والملائكة وأولوا العلم، وبيانه ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾. ذكرهما الثعلبي.

وفي تفسير قوله تعالى ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾[7]

قال ابن الجوزي معناه : نزه اسم ربك وذكرتك إياه أن تذكره وأنت معظم له، خاشع له. ذكره الثعلبي [8]

---

(1) الثعلبي : أبو اسحاق أحمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري المقرئ المفسر، كان حافظا واعظا رأسا في التفسير والعربية. ت 427هـ. وفيات الأعيان: 37/1

(2) انظر التعريف بهذا التفسير في كتاب (التفسير والمفسرون). 234-227/1

(3) مقدمة في أصول التفسير- ابن تيمية- ص 51

(4) مقدمة في أصول التفسير: 51

(5) البروج :3

(6) زاد المسير :73/9

(7) الأعلى :1

(8) زاد المسير: 87/9

وفي قوله تعالى ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾[1]

يقول صاحب زاد المسير: معناه : قدر الأرزاق وهدى إلى طلبها،وقدر الذنوب وهدى إلى التوبة. ذكرهما الثعلبي.[2]

وعند تفسير قول الله عز وجل : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[3]

يقول ابن الجوزي : معناه رفعناك لك ذكرك عند الملائكة،ورفعنا لك ذكرك بأخذ الميثاق على الأنبياء وإلزامهم الإيمان بك،والإعتراف بفضلك. ذكرهما الثعلبي [4].

تفسير الماوردي[5] : (ت450هـ)

للماوردي تفسير يسمى (النكت والعيون)، وقد أفاد منه ابن الجوزي كثيرا، ونقل عنه نقولات عديدة، وقد لاحظت نوعا من من التشابه بين التفسير (زاد المسير، والنكت والعيون) من حيث الطريقة في تناول الآيات، وذكر الأقوال العديدة في الآية الواحدة ونسبتها إلى قائليها وهذا نموذج من تفسير الموارديي :

(قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[6]

فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : شك، وبه قال ابن عباس

الثاني : نفاق وهو قول مقاتل.

والثالث: أن المرض الغم بظهور أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- على أعدائه وأصل المرض الضعف، يقال: مرض في القول أي ضعفه)[7]

---

(1) الأعلى:3

(2) زاد المسير: 89/9

(3) الشرح :4

(4) زاد المسير: 163/9

(5) الماوردي : علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي، فقيه شافعي أصولي، مفسر. أقضى قضاة عصره. ت450هـ. معجم المفسرين: 375/1

(6) البقرة :10

(7) الماوردي: النكت والعيون: 68/1- تحقيق خضر محمد خضر- ط:1-1402هـ-1982م- مطابع مقهوي- الكويت

وهذا النوع من الطرق في تناول الآيات وإيراد الأقوال المختلفة هو السمة الغالبة على طريقة ابن الجوزي في زاد المسير ومثال ذلك قوله في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾[1]. (وفي المراد بالفساد خمسة أقوال :

أحدهما : أنه الكفر، قاله ابن عباس

والثاني : العمل بالمعاصي، قاله أبو العالية ومقاتل

والثالث : أنه الكفر والمعاصي، قاله السدي

والرابع : ترك امتثال الأوامر، واجتناب النواهي. قاله مجاهد

والخامس: أنه النفاق الذي صادقوا به الكفار. ذكره علي بن عبيد الله.)[2]

ومن الأمثلة على استفادة ابن الجوزي من تفسير الماوردي ما يلي :

عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾[3]

يقول ابن الجوزي: وفي معنى الفضل ثلاثة أقوال :

أحدها : الثواب. ذكره الماوردي

والثاني : ربح التجارة، قاله مجاهد

والثالث: أنهم أصابوا سرية بالصفراء فرزقوا منه.[4]

وعن تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾[5]

يقول : هم قوم ارتدوا عن الإسلام. ذكره الماوردي.[6]

---

(1) البقرة :11

(2) زاد المسير: 32/1

(3) آل عمران :174

(4) زاد المسير: 506/1

(5) آل عمران: 176

(6) زاد المسير: 508/1

وفي قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ﴾(1)

يقول ابن الجوزي في معناه قولان :

أحدهما : أنه خطاب للأزواج

والثاني : خطاب للحكام أي : اسمعوا شهادة أربعة منكم. ذكرها الماوردي(2)

وعند قوله تعالى : ﴿ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾(3)

قال ابن الجوزي معناه : اختلاف تفاوت من جهة بليغ في الكلام ومرذول إذ لابد لكلام إذا طال من مرذول وليس في القرآن إلا بليغ. ذكره الماوردي(4).

---

(1) النساء: 15

(2) زاد المسير: 34/2

(3) النساء: 82

(4) زاد المسير: 145/2

المبحث الرابع

مصادره من كتب السنة

. السنة من المصادر الهامة لتفسير كتاب الله، عز وجل، لا غني عنها لأي مفسر لأنه من البديهي أنه لا أحد أعلم بتفسير كلام الله من الذي أنزل عليه الوحي وهو المعصوم -صلى الله عليه وسلم-. وقد زخر تفسير ابن الجوزي بثروة ضخمة من الأحاديث النبوية الشريفة واستشهد بها لأغراض مختلفة. وأهم الكتب التي اعتمد عليها ابن الجوزي في هذا المجال وصرح بذكرها ما يلي :

أولا : مسند الإمام أحمد :

فقد أورد عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾(1) حديثا استدل به على مسألة (الميزان) وحقيقة وقوعه فقال : والقول بالميزان مشهور في الحديث، وظاهر القرآن ينطق به، والوزن يرجع إلى الصحائف بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : (إن الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الناس يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب، فيقول : ألك عذر أو حسنة ؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يارب، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فتوضع السجلات في كفة والبطاقات في كفة، قال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة.). أخرجه أحمد في مسنده(2).

ثانيا : سنن الترمذي (3)

وردت الإشارة إلى الترمذي في كتاب ابن الجوزي (زاد المسير) عند تعرضه لقصة آدم من سورة البقرة، حيث أورد الحديث التالي :

(روى أبو موسى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأبيض والأحمر والأسود،

---

(1) الأعراف :8

(2) زاد المسير : 170/3. وأنظر الحديث في المسند: 213/2- ط: دار الفكر

(3) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ولد سنة 200 هـ، وكان إماما ثقة حافظا، حجة، يضرب به المثل في الحفظ، أشهر كتبه السنن، المعروف بالجامع. ت279 هـ.

وبين ذلك، والسهل والحزن وبين ذلك، والخبيث والطيب)، قال الترمذي : هذا حديث صحيح[1].

ثالثا : المستدرك لأبي عبد الله الحاكم :[2]

ورد ذكر كتاب المستدرك في تفسير ابن الجوزي عدة مرات، منها ما ذكره ابن الجوزي عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[3]. حيث قال : روى أبو عبد الله الحاكم في صحيحه من حديث أبي بن كعب قال : لما قدم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– المدينة وأصحابه، رمتهم العرب عن قوس واحدة، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا في لأمتهم، فقالوا أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين، لا نخاف إلا الله عز وجل فنزلت هذه الآية.[4]

رابعا : الصحيحان :

أكثر كتب الحديث ذكرا في تفسير ابن الجوزي الصحيحان : " الجامع الصحيح" للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري المتوفي سنة 256 هـ.

و"المسند الصحيح" للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري المتوفي 261 هـ.

والأمثلة على إفادة ابن الجوزي من هذين المصدرين كثيرة جدا، وهذه بعض منها :

1- في تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[5]

قال ابن الجوزي : روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قام رسول الله حين أنزل الله ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ فقال : يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم شيئا. يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا. يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا.[6]

---

(1) زاد المسير: 62/1. والترمذي– السنن :273/4– تحقيق عبد الرحمان محمد عثمان–ط: دار الفكر

(2)

(3) النور: 55

(4) زاد المسير: 57/6. وانظر المستدرك للحاكم– كتاب التفسير: 401/2–ط دار الفكر– الكتاب العربي

(5) الشعراء: 214

(6) زاد المسير: 147/6. وانظر البخاري– كتاب التفسير: 113/18-116– ط: مكتبة الكليات الأزهرية

وانظر صحيح مسلم: كتاب الإيمان: 134/1-135– ط: دار الفكر

2- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾(1)

قال ابن الجوزي : أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : (يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض.)(2)

3- عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾(3)

قال ابن الجوزي : أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : (يوتي بالرجل بيوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه، فتعرض عليع صغار ذنوبه، وتنحي عنه كبارها، فيقال عملت يوم كذا كذا وكذا، وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من الكبار،فيقال أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة)(4)

4- في تفسير قوله تعالى : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾(5)

استشهد ابن الجوزي بعدة أحاديث في بيان معنى الكبائر، منها ما رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : (الكبائر الإشراك باله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس واليمين الغموس)(6).

5- خامسا : سنن أبي داود (7)

من كتب التب أوردت الإشارة إليها في تفسير ابن الجوزي سنن أبي داود، وذلك تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾(8)

---

(1) الزمر : 67

(2) زاد المسير: 147/6، وانظر البخاري- كتاب التفسير: 127/18-ط: الكليات الأزهرية.

ومسلم : 126/1- ط: دار الفكر

(3) الفرقان :70

(4) زاد المسير: 107/6- وانظر مسلم: كتاب الإيمان: 21/1

(5) النساء :31

(6) زاد المسير: 64/2. وانظر البخاري: كتاب الإيمان والنذور- باب اليمين الغموس- ج25-ص :50

(7) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ثقة حافظ، ولد سنة 202 هـ، وأشهر آثاره: السنن. ت275هـ

(8) الحاقة :17

حيث قال ابن الجوزي : روى أبو داود في سننه من حديث جابر بن عبد الله عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام.)[1]

---

(1) زاد المسير: 351/8، وانظر سنن داود: 232/4 رقم 4728- ط: دار الفكر.

المبحث الأول

منهجه في تناول السور

الـفــصل الــثالث

منــهــــج ابن الجوزي في تـناول :
الــسور والآيــات وسمات المنــهج الــعام

المــبــحث الأول : منهــجه في تنــاول الســور

المــبــــحث الثاني : منهــــحه في تناول الآيــات

المبــحث الثالث : ســمــات المنهج العــام

أولا : منهـجه في تناول السور :

لابن الجوزي في (زاد المسير) طريقة متبعة في كل السور، حيـث يبـدأ بـالتعرف بالسـورة تحـت عنوان (فصل في نزولها) يذكر فيه فضل السورة والآثار الواردة في ذلك ويبين إن كانت مكية أو مدنية أو فيها مكي ومدني ثم يبدأ التفسير، فمثلا يقول عند تعرضه لسورة الفاتحة :

روى أبو هريرة أن رسول الله صلة الله عليه وسلم قال:وقرأ على أبي بن كعـب أم القـرآن فقـال (والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل، ولا في الزبـور، ولا في الفرقـان مثلهـا، هـي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته)[1].

فمن أسمائها : الفاتحة لأنه يستفتح بهـا الكتـاب تـلاوة وكتابـة، ومـن أسـمائها أم القـرآن وأم الكتاب لأنها أمت الكتاب بالتقدم، ومن اسمائها السبع المثاني.

واختلف العلماء في نزولها على قولين :

أحدهما : أنها مكية، وهو مروي عن علي بن أبي طالب، والحسن وأبي العالية وقتادة

والثاني : أنها مدنية وهو مروي عن أبي هريرة ومجاهد وعطاء الخرساني وابن عباس.

ويقول عند تفسير سورة (المؤمنون)[2]: سورة (المؤمنون) مكية في قول الجميع. ثم يذكر فصـل السورة فيقول : روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله –صلى الله عايه وسلم– أنه قال : (لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهنّ دخل الجنة ثم قـرأ "قـد أفلـح المؤمنـون " إلى عشـر آيات). رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه[3].

وعند تعرضه لسورة "الحج" يقول :

روى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية غير آيتين نزلتا بالمدينة قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[4] والتي تليها. وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنها مدنية إلا أربع آيات نزلـت بمكة هي قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ..﴾[5] إلى آخر الأربع.

ولأنبي

---

(1) زاد المسير: 10/1

(2) نفس المرجع: 458/5

(3) زاد المسير: 5/

(4) الحج: 12

(5) الحج: 53

وقال أبو سليمان الدمشقي[1]: أو لها مدني إلى قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2] وسائرها مكي .

وقال هبة الله بن سلامة : هي من أعاجيب السور لأن فيها مكيا ومدنيا، وحضريا وسفريا، وحربيا وسلميا، وليليا ونهاريا، وناسخا ومنسوخا.

وهكذا يسلك هذه الطريقة مع باقي السور، والجدير بالإشارة أن ابن الجوزي يذكر مختلف الروايات في نزول السورة ، والمكي منها والمدني دون أن يناقش تلك الروايات،أو يرجح بعضها.

---

(1) الدمشقي : القاسم بن الخليل الدمشقي، فقيه مفسر،توفي في القرن الثالث الهجري- معجم المفسرين- 432/1

(2) الحج: 38

المبحث الثاني :

منهجه في تناول الآيات

إذا كان لابن الجوزي طريقة محددة في تناوله للسور قد سبق بيانها في مبحث سابق، فإن المتأمل في منهجه في تناول الآيات لا يكاد يقف عل طريقة واحدة متبعة في كل آية يتعرض لتفسيرها.

غير أن أبرز ما يلاحظه الباحث في منهجه، أنه يتناول الآيـات القرآنيـة بطريقـة يمكـن أن توسـم بالشمول الكامل لكل ما يتعلق بالآيات تفسيرا وبيانـا كذكـر وجـوه القـراءات وأسـباب النـزول، ومعاني الألفاظ، والآيات ووجوه الإعراب وحل المشكل متى وجد.

ويمكن تلخيص منهجه في تناول الآيات في هذه الملاحظات :

1- يبدأ ابن الجوزي بذكر نص الآية القرآنية فيقول مثلا: قوله تعالى ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾[1] بفعل ذلك مع كل آيات الذكر الحكيم، ثم يشرع في التفسير.

2- أول ما يذكره ابن الجوزي في تفسير الآية سبب نزولها إن كان لها سبب نزول فمثلا عنـد قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾[2]. يقول: في سبب نزولها ثلاثة أقوال :

أحـدها : أن أبي بن خلف كان يحضر عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويجالسه مـن غـير أن يؤمن به فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك فنزلت الآية. رواه عطاء الخرساني عن ابن عباس.

والثانـي: أن عقبة دعا قوما فيهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لطعام فأكلوا وأبـى رسـول الله أن يأكل وقال : " لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا اللـه وأنـي رسـول اللـه." فشـهد بذلـك عقبة فبلغ ذلك أبي بن خلف وكان خليلا له فقال: صبوت يا عقبة ؟ فقال : لا والله، ولكنه أبـى أن يأكل حتى قلت ذلك وليس من نفسي فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد.

والـثالث : أن عقبة كان خليلا لأمية بن خلف فأسلم عقبة فقال أمية : وجهي من وجهك حـرام إن تابعت محمدا فكفر وارتد لرضى أمية فنزلت هذه الآية، قاله الشعبي.[3]

---

(1) النور: 32

(2) الفرقان: 28-29

(3) زاد المسير في علم التفسير: 86/6

3- فإن لم يكن للآية سبب نزول يذكر فإن ابن الجوزي يبدأ بذكر خلاف القراء في الآية بقول مثلا: قوله تعالى ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً ﴾(1).

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم "يلقون" بضم الياء، وفتح اللام، وتشديد القاف.وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر بن عاصم : "يلقون" بفتح الياء، وسكون اللام، وتخفيف القاف.(2)

وعند قوله تعالى ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ ﴾(3).

يقول : قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو "فرهين". وقرأ الباقون "فارهين".(4)

4- بعد ذكر القراءات وإسباب النزول يشرع ابن الجوزي في التفسير وطريقته في ذلك متباينة من موضع لآخر فأحيانا يبدأ بذكر المعنى العام للآية ثم يشرح ألفاظها وأحيانا أخرى يشرح ألفاظ الآية ثم يذكر المعنى، يقول في تفسير قوله تعالى ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ.﴾(5)

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾. قال ابن قتيبة: ألهمني، أصل الإيزاع : الإغراء بالشيء، يقال: أوزعته بكذا : أي أغريته به فهو موزع بكذا ومولع بكذا، والمعنى : كفني عما يباعدني منك.

وفي قوله تعالى ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ ﴾ يقول التفقد: طلب ما غاب عنك، والمعنى : أنه طلب ما فقد من الطير، والطير اسم جامع للجنس وكانت الطير تصحب في سليمان في سفره تظله بأجنحتها(6).

---

(1) الفرقان: 77

(2) زاد المسير: 112/6

(3) الشعراء: 153

(4) زاد المسير: 138/6

(5) النمل : 30

(6) زاد المسير: 112/6-113

وفي قولها تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّه ﴾(1)

كتب بمعنى : قضي، ومعنى الآية قضي على الشيطان أنه يضل من تبعه.(2)

أما في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَاهُمْ بِسُكَارَى﴾(3) فيقول: معنى سكارى: من شدة الخوف، وماهم سكارى من الشراب. والمعنى ترى الناس كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما يمر بهم، يضطربون اضطراب السكران من الشراب.(4)

5- وإذا كانت ألفاظ الآية الكريمة لا تقتضي شرحا لوضوح معانيها فإنه يكتفي بذكر المعنى العام للآية كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾(5)

يقول في تفسيرها : المعنى : يهدي إلى الخصال التي هي أقوم الخصال وهي توحيد الله والإيمان به وبرسله والعمل بطاعته.(6)

6- وإذا كان في الآية كلمة قد سبق شرحها فإنه يكتفي بالإحالة إلى الموضع الذي سبق به شرح تلك الكلمة ففي قوله تعالى : ﴿ فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾(7)

يقول ابن الجوزي : وقد ذكرنا معنى التدمير في سورة الأعراف(8) وفي مواضع أخرى يشير إلى أنه

---

(1) الحج :

(2) زاد المسير: 405/5

(3) الحج:

(4) زاد المسير: 406/5

(5) الإسراء:9

(6) زاد المسير: 12/5

(7) الإسراء:

(8) زاد المسير: 19/5

سبق تفسير الآية كاملة فيكتفي بالإحالة إلى السورة التي سبق فيها شرح الآية، يقول عند تفسير قوله تعالى ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾[1]، قد فسرنا الآية في سورة الشعراء.[2]

وينبه في بعض المواضع إلى ذلك فيقول : (وما أخللنا به من تفسير كلمة في قصة موسى فقد سبق بيانها، وكذلك ما يفقد ذكره في مكان فهو إما أن يكون قد سبق وإما أن يكون ظاهرا فتنبه)[3].

7- لا يغادر ابن الجوزي كثيرا من الآيات دون الوقوف على إعراب بعض كلماتها وربما يبدأ الإعراب إحيانا قبل التفسير، في قوله تعالى : ﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾[4]، إذ يقول : قال الزجاج: كلا منصوب ب(نمد) و(هؤلاء) بدل من (كلا).

وفي قوله تعالى ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾[5]

يقول : (عربيا) منصوب على حال، والمعنى : ضربنا للناس في هذا القرآن حال عربيته وبيانه.[6]

وفي قوله تعالى ﴿ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[7]

يقول ابن الجوزي: (شياطين) منصوب على البدل من (عدوا) ومفسر له، ويجوز أن يكون (عدوا) منصوب على أنه مفعول ثان، والمعنى (وكذلك جعلنا شياطين الجن والإنس أعداء لأمتهم)[8].

---

(1) الدخان : 25

(2) زاد المسير: 344/7

(3) زاد المسير: 126/6

(4) الإسراء: 20

(5) الزمر: 28

(6) زاد المسير: 179/7

(7): الأنعام :

(8) زاد المسير :108/3

8- لا تظهر في تفسير ابن الجوزي كثرة عناية بالربط بين الآيات والعلاقات بينهما إلا في مواضع قليلة نذكر منها مثالين :

الأول : عند قوله تعالى ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾(1)

قال ابن الجوزي : لما ذكر في هذه الآية الأولى إكرام محمد -صلى الله عليه وسلم- ﴿ أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا.. ﴾ ذكر في هذه الآية إكرام موسى عليه السلام.

الثاني : عند قوله تعالى ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ﴾(2)

تمال: عل في وجه المناسبة بين قوله (اصبر)، وبين قوله (اذكر عبدنا داود)، قولان :الأول

أحدهما : أنه أمر بأن يتقوى على الصبر بذكر قوة داود على العبادة والطاعة.

والثاني : أن المعنى عرفهم أن الأنبياء مع طاعتهم كانوا خائفين مني، وهذا داود مع قوته على العبادة لم يزل باكيا مستغفرا فكيف حالهم مع أخطائهم.(3)

9- أما الآيات التي تتعلق بالأحكام فإن ابن الجوزي يفسر ألفاظها ويذكر معانيها ثم يعقد بعد ذلك فصولا خاصة يذكر فيها ما تضمنته الآية من أحكام ذاكرا أقوال أئمة المذاهب مقدما في الغالب رأي الإمام أحمد بن حنبل ومثال ذلك ما ذكره في آية الصيام ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾(4)

فقد قال: واتفق العلماء على أن السفر مقدر واختلفوا في تقديره فقال أحمد ومالك والشافعي : أقله مسيرة ثلاثة أيام، مسيرة أربعة وعشرين فرسخا وقال الأوزاعي : مرحلة يوم، مسيرة ثمانية فراسخ(5).

ولا يترك ابن الجوزي آية فيها شبهة نسخ إلا وذكرها وعقب عليها أيضا أو ذكر الرأي المقابل وهو أنها ليست منسوخة. ومثال ذلك في شرحه لقوله تعالى ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾(6)

---

(1) الإسراء: 2

(2) ص : 17

(3) زاد المسير : 110/7

(4) البقرة: 185

(5) زاد المسير: 185/1

(6) الزمر: 14

يقول: وهذا تهديد، وبعضهم يقول منسوخ بآية السيف وهذا باطل لأنه لو كان أمرا كان منسوخا، فأما أن يكون بمعنى الوعيد فلا وجه لنسخه.(1)

ومثال آخر في قوله تعالى ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾(2).

يقول : اختلف العلماء هل هذه الأية منسوخة أم لا؟ على قولين :

أحدهما : أنها نزلت قبل (براءة) فأمر رسول الله أن يقاتل من قاتله، ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك، وأمر بالجهاد، قاله ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون المعنى (ولئن صبرتم) عن القتال ثم نسخ هذا بقوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)(3).

والثاني : أنها محكمة، وإنما نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال الظالم منه، قاله مجاهد، والشعبي والنخعي، والثوري، وابن سرين، وعلى يكون المعنى ولئن صبرتم عن المثلة لا عن القتال.(4)

---

(1) زاد المسير: 169/7

(2) النحل : 128.

(3) التوبة : 5

(4) زاد المسير: 508/4

المبحث الثالث

ملامح المنهج العام لتفسير ابن الجوزي

الناظر في طريقة ابن الجوزي في التفسير يتبين له أنه يتناول تفسير آيات الذكر الحكيم بمنهج يمكن أن يوسم بالشمول والتكامل لكل ما ليتعلق بالآيات من قراءات، وأسباب ونزول، وإعراب للكلمات، وبيان لمعاني الألفاظ ومعاني الآيات، وحل المشكلات واستنباط الأحكام الفقهية، وهو الأمر الذي نبه إليه في مقدمة تفسيره.

ويمكننا تلخيص الملامح الكبرى لمنهجه العام في التفسير في التقاط الآتية :

1- التعريف بكل سورة من سور القرآن العظيم قبل التعرض لتفسيرها وذلك بذكر اسمها أوأسمائها، وكونها مكية أو مدنية، والمكي منها والمدني إن كان فيها المكي والمندي، ومختلف الروايات في ذلك الشأن، ويذكر كذلك ماورد فيها من أحاديث تبين فضلها وانظر مثلا تعريفه بسورة الحج(1) وسورة التوبة(2).

2- العناية بذكر أسباب النزول :

ابن الجوزي شديد العناية بتتبع أسباب النزول وذكرها، وكتابه (زاد المسير) غني بهذا النوع من علوم القرآن – وسأتعرض له في فصل خاص إن شاء الله– ولكن أذكره هنا فقط لبيان منهجه في التفسير، ومثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾(3)

يقول: سبب نزولها أن المؤلفة قلوبهم جاءوا إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وقالوا: يا رسول الله لو أنك جلست في صدر المجلس، ونحيت هؤلاء عنا، يعنون سلمان وأباذر وفقراء المسلمين، –وكانت عليهم ثياب الصوف– جلسنا إليك وأخذ ناعنك. فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿ **إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا** ﴾(4).

---

(1) زاد المسير: 402/5

(2) زاد المسير: 389/3-392

(3) الكهف: 28

(4) زاد المسير : 132/5

2- ذكـر القـراءات المختلفة للآية إن وجدت :

يستعين ابن الجوزي كثيرا بعلم القراءات في تفسيره ولا يغادر آية فيها قراءات مختلفة إلا ذكرها وعزاها إلى صاحبهـا وسأفرد مبحثا خاصـا للقـراءات في تفسـيره ولكنني أكتفي بذكـر نموذج للإستشهاد فقط على عناية ابن الجوزي بالقراءات في تفسير الآية.

يقول عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾(1)

قرأ ابن كثير(2) ونافع(3) وأبو عمرو(4) وابن عامر(5) (حتى تفجر) بضم التاء وفتح الفـاء وتشـديد الجيم مع الكسرة.

وقرأ حمزة(6) وعاصم(7) والكسائي(8) بفتح التاء وتسكين الفاء وضـم الجيـم مـع التحفيـف (حتـى تفجر). فمن ثقل أراد كثرة الإنفجار من الينبوع ومن خفف فلأن الينبوع واحد. فأما الينبوع فهو عين ينبوع الماء منها.(9)

3- ذكـر النسـخ إن وجد في الآية :

بالإضافة إلى عناية ابن الجوزي بالقراءات، وأسـباب النزول فإنـه كثـير الإهتمـام بالإشـارة إلى

---

(1) الإسراء: 90

(2) ابن كثير : عبد الله بن كثير المكي من التابعين. ت120 هـ. عبد الفتـاح القـاضي- البـدور الزاهـرة في القـراءات العشـر المتواترة. ص:6- مطبعة الحلبي- مصر-ط: 1-1955

(3) نافع : أبو دوريم نافع عبد الرحمان بن أبي نعيم الليثي. ت169هـ. نفس المرجع.ص :5

(4) أبو عمرو البصري زبان بن العلاء بن عمار المازني.ت 154هـ. المرجع السابق:6

(5) ابن عامر الشامي : عبد الله بن عامر اليحصبي يكنى أبا عمران.ت 118هـ. المرجع السابق: 6

(6) حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات يتنى أبا عمارة. ت156 هـ. المرجع السابق:6

(7) عاصم الكوفي: عاصم بن أبي النجود يكنى أبو بكر تابعي. ت128هـ

(8) الكسائي: علي بن حمزة النحوي ويكنى أبا الحسن. ت189هـ. المرجع السابق: 6

(9) زاد المسير: 87/5

الناسخ والمنسوخ من الآيات عند تعرضه لتفسيرها وذلك ما نبينه -إن شاء الله- في مبحث خاص به ونذكر هنا مثالا منه :

قال عند تفسيره قوله تعالى ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[1]

وهل هذه الآية منسوخة أم لا؟ فيها قولان :

أحدهما : أنها منسوخة

والثاني : أن معناها التهديد فهي محكمة[2]

وقال عند تفسيره قوله تعالى ﴿ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾[3]

وقد نقل عن ابن عباس أن هذه الآية وقوله تعالى ﴿ **انفروا خفافا وثقالا** ﴾[4] وقوله ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما** ﴾[5]، منسوخات بقوله ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كآفة** ﴾[6]

قال أبو سليمان الدمشقي: والأمر في ذلك بحسب ما يراه الإمام وليس هذا المنسوخ من في شيء.[7]

4- الإستشهاد بالشعر :

من السمات البارزة لطريقة ابن الجوزي في تفسير الآيات الإستدلال بالشعر العربي، وفي كتابه "زاد المسير" حوالي (800) بيت من الشعر كشواهد، ويحتج بالشعر في بيان معنى كلمة، مجازها وحقيقتها أو بيان المراد بالإستفهام إلى غير ذلك، وهذه أمثلة على استشهاده بالشعر واستعانته به عند التفسير.

---

(1) المؤمنون :54

(2) زاد المسير: 479/5

(3) النساء: 71

(4) التوبة: 41

(5) التوبة :39

(6) التوبة: 122

(7) زاد المسير: 129/2-130

في بيان قوله ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾(1). قال ابن الجوزي: الوقر : ثقل السمع، يقال في أذانه وقر وقد وقرت الأذن توقر، قال الشاعر :

وكلام سيئ قد وقرت * أذني عنه وما بي من صمم(2)

﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ﴾ من مجاز الكلام لأن التجارة لا تربح وإنما يربح فيها وأنشدوا:

حارث فرجت همي - نام ليلي وتجلى غمي(3)

قوله تعالى ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ﴾(4)

(فإن تولوا) فيه قولان :

أحدهما : أنه فعل ماض معناه فان اعرضوا

والثاني : أنه خطاب للحاضرين وتقديره فان تتولوا اقتصر على إحدى التاءين، كما قال النابغة :

المرء يهوى أن يعيش وطول عيش قد يضره

تفنى بشاشته ويبقي بعد حلو العيش مره

وتصرف الأيام حتى ما يرى شيئا يسره.(5)

5- عنايته ببيان المشكل :

هذه سمة من سمات منهج، ابن الجوزي في التفسير والمقصود بالمشكل ما قد يلتبس معناه على القارئ، فيحتاج حينئذ إلى كشف وتجلية وابن الجوزي شديد الحرص على حل المشكل، وقد أسلفت القول أنه ذكر في مقدمة التفسير ما عابه على كتب التفسير المتقدمة ومنها إهمالهم حل المشكل من الآيات إذ قال في هذا الشأن : (فرب تفسير أخل فيه بعلم الناسخ والمنسوخ أو

---

(1) الأنعام :25

(2) زاد المسير: 19/3

(3) زاد المسير: 38/1

(4) هود :57

(5) زاد المسير: 120/4

ببعضه فان وجد لم يوجد جواب لإشكال بقع في الآية إلى غير ذلك من الفنون المطلوبة)[1].

وهذه أمثلة شاهدة على مدى عنايته بحل المشكل :

يقول عند تفسيره ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾[2]

فان قيل كيف عاب الله هؤلاء حين قالوا الحسنة من عند الله، والسيئة من عند النبي ورد عليهم بقوله ﴿ قل كل من عند الله ﴾ ثم عاد فقال ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ وهل القوم إلا هكذا ؟ فعنه جوابان :

أحدهما : أنهم أضافوا السيئة إلى النبي تشاؤما به فرد الله عليهم فقال كل بتقدير الله، ثم قال ما أصابك من حسنة فمن الله: أي من فضله وما أصابك من سيئة فبذنبك وإن كان الكل من الله تقديرا.

فضله

والثاني : أن جماعة من أرباب المعاني قالوا: في الكلام محذوف مقدر تقديره فما لهؤلاء لقوم يكادون يفقهون حديثا، يقولون : ماأصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك فيكون هذا من قولهم. والمحذوف المقدر في القرآن كثير.[3]

يقول عن تفسير قوله تعالى ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[4]

فان قيل كيف الجمع بين قوله ﴿ أحسن الخالقين ﴾ وقوله ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾؟ [5]

فالجواب أن الخلق يكون بمعنى الإيجاد، ولا موجد سوى الله ويكون بمعنى التقدير كقول زهير :

ولأنت تفري ما خلقت، وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

فهذا المراد هنا أن بني آدم قد يصورون ويقدرون ويضعون الشيء فالله خير المصورين والمقدرين. وقال الأخفش الخالقون ههنا هم الصانعون، فالله خير الخالقين.[6]

---

(1) زاد المسير : 6/1

(2) النساء: 79

(3) زاد المسير :140/2

(4) المومنون: 14

(5) فاطر: 3

(6) زاد المسير : 464/5

وقال عند تفسيره قوله تعالى ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ﴾(1)

فان قال قائل من أين لابليس العلم بالعواقب ولأضلنهم، وقال في الأعراف ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾(2) وقال في بني اسرائيل ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(3). ففيه ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنه ظن ذلك فتحقق ظنه وذلك قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾(4). قاله الحسن وابن زيد .

والثاني : أن المعنى لأحرضن ولأجتهدن في ذلك، لا أنه كان يعلم الغيب. ذكره ابن الأنباري.

والثالث: أن من الجائز أن يكون علم من جهة الملائكة بخبر من الله تعالى أن أكثر الخلق لا يشكرون. ذكره الماوردي.(5)

وقال عند تفسيره قوله تعالى ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾(6)

فان قيل كيف كيف حكم داود قبل أن يسمع كلام آخر ؟

فالجواب أن الخصم الآخر اعترف فحكم عليه باعترافه، وحذف ذكر الإعتراف إكتفاء بفهم السامع والعرب وتقول : أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال أي فاتجرت فكسبت الأموال.(7)

7- تقصي الأقوال وذكرها :

ابن الجوزي مولع بتتبع الأقوال الكثيرة في معنى الآية الواحدة ومن يطلع على تفسيره يدرك مدى الجهد الذي بذله في جمع ذلك المصنف، كما يتكشف له المقدرة التي أوتيها ابن الجوزي على تقصي الأقوال الكثيرة وجمعها وذلك يدل بحق على سعة إطلاعه وقد أشار في مقدمة كتابه إلى أنه لم يغادر من الأقوال التي أحاط بها إلا ما تبعد صحته.(8)

---

(1) النساء: 119

(2) الأعراف: 17

(3) الإسراء: 62

(4) سبأ: 20

(5) زاد المسير: 2: 206-207

(6) ص :24

(7) زاد المسير: 121/7

(8) زاد المسير: 7/1

لكن هنا ملاحظات جديرة بالذكر فيما يتعلق بالأقوال التي يوردها ابن الجوزي في تفسيره، وهي مايلي :

الملاحظة الأولى : خلوها من الأسانيد :

إذ يكتفي بنسبة القول إلى صاحبه من غير ذكر السند الموصل إليه، يقول عند تفسيره قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(1)، فيه ثلاث أقوال :

أحدها : فرادى من المال والأهل والولد. قاله ابن عباس

والثاني: كل واحد على حدة. قاله الحسن

والثالث: ليس معكم من الدنيا شيء ذكره مقاتل.

والرابع : كل واحد منفرد عن شريكه في الغي وسقيقه. قاله الزجاج(2)

الملاحظة الثانية : تقاربها في المعنى أحيانا حتى تكاد تكون قولا واحدا، كما في قوله تعالى ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(3)

فقد قال ابن الجوزي في معناها ثلاثة أقوال :

أحدها : لامال ولا أهل ولا ولد

والثاني : حفاة عراة غرلا

والثالث: أحياء (4)

الملاحظة الثالثة :

عدم مناقشة الأقوال وترجيح الأصح إلا نادرا.

يورد ابن الجوزي أقوال المفسرين، ولكنه لا يناقشها ولا يرجح بينها إلا في مواضع قليلة كما في تفسيره لقوله تعالى ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾(5). فقد قال :

---

(1) الأنعام :94

(2) زاد المسير:88/3

(3) الأنعام: 94

(4) زاد المسير: 88/3

(5) التكاثر : 8

وللمفسرين في المراد بالنعيم عشرة أقوال ذكرها ثم قال : والصحيح أنه عام في كل نعيم، وعام في جميع الخلق، فالكافر يسأل توبيخا إذ لم يشكر المنعم ولم يوحد، والمؤمن يسأل عن شكرها.(1)

الملاحظة الرابعة :

كثرة الأقوال في معنى الآية الواحدة فقد أورد في معنى ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾(2) عشرين قولا. كما ذكر في معنى ﴿ والشفع والوتر ﴾(3) عشرين قولا دون ترجيح واحد منها.

الملاحظة الخامسة :

ذكره من الأقوال ما لا جدوى منه في التفسير، كالأقوال التي أوردها في صفة الحجر الذي أمر الله موسى، بضربه واسم كلب أهل الكهف ولونه إذ يقول وفي اسم كلبهم أربعة أقوال هي قطمير وقطمور وحمران والرقيم.(4)

وقد قال العلامة ابن كثير(5) في هذا الشأن (وغالب ذلك مما لا فائدة تعود إلى أمر ديني ويأتي عن المفسرين خلاف فيه كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم وعددهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم.)(6)

---

(1) زاد المسير : 9 / ٥٥٥

(2) البروج : 3

(3) الفجر : 3

(4) زاد المسير: 126/5

(5) اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوبن بن درع القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين مؤرخ، مفسر، محدث من فقهاء الشافعية. ت774هـ. معجم المفسرين: 92/1

(6) تفسير ابن كثير: 8/1. دار الأندلس للطباعة والنشر–ط السادسة– بيروت– لبنان

المبحث الأول :

أسباب النزول

الـــفصل الـــرابع

مـــوقف ابن الـــجوزي في تفسيره من :

- أســـباب النزول

- النـــاسخ والمنسوخ

- القـــراءات

نزل القرآن الكريم على الأمين محمد -صلى الله عليه وسلم- مفرقا خلال نيف وعشرين سنة، وقد نبه الله سبحانه وتعالى إلى الحكمة في نزوله كذلك بقوله في سورة الإسراء: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾(1).

كم أشار إلى ذلك أيضا سورة الفرقان ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا. ﴾(2)

وقد قسم العلماء القرآن من حيث نزوله إلى قسمين :

قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة إنما هو لمحض هداية الخلق إلى الحق وهو كثير ظاهر لا يحتاج إلى بيان.

وقسم نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة، وهذه الأسباب إما أن تكون حوادث تحدث أو أسئلة يسألها الناس. وعرف العلماء سبب النزول بأنه مانزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه(3).

وبقولهم : سبب النزول هو الحادث الذي نزلت الآيات متحدثة عنه ومبينة لحكمه موضحة لظروف إنزالها.(4) سواء كان ذلك الحادث خصومة دبت كالخلاف الذي شجر بين جماعة من الأوس وجماعة من الخزرج بدسيسة من اليهود حيث تنادوا السلاح ونزل بسببه قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾(5).

أم كان الحادث خطأ فاحشا ارتكب كالذي أمّ الناس وهو سكران فنزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾(6).

---

(1) الإسراء: 106

(2) الفرقان: 32

(3) عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان: 106/1- دار الفكر. ط:3

(4) أحمد عادل كمال- علوم القرآن: 29

(5) آل عمران: 100

(6) النساء: 43

أم كان ذلك الحادث رغبة من الرغبات أو تمنيا من التمنيات أو كان سؤالا مرفوعا إلى النبي – صلى الله عليه وسلم– يتصل بأمر مضى نحو قوله سبحانه في سورة الكهف ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ** ﴾(1). أم يتصل بحاضر نحو قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ**﴾(2)، أم يتصل بمستقبل نحو قوله جلا جلاله ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا** ﴾(3).

وبناء على ذلك فإن قسما من الآيات يتحتم فيه معرفة سبب النزول مثل آيات الأحكام لللزوم معرفة سبب النزول لتحقيق البحث في هذه الأحكام للوصول إلى معرفة أصول التشريع، وأن معرفة السبب تساعد على معرفة وجه الحكمة الباعث على التشريع، ولبيان تخصيص الحكم أو نسخه وبذلك يتنافى التعارض الظاهري في القرآن.

وقسما لا يتحتم فيه معرفة أسباب النزول مثل آيات القصص، ولا يؤخذ من هذا أن جميع آيات القصص لا يتحتم فيها الرجوع إلى معرفة السبب فهناك بعض القصص لايفهم إلا إذا عرف السبب مثل آيات الإفك.(4)

ولأسباب النزول فوائد كثيرة نبه العلماء إليها: منها معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عندما يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها الوقوف على المعنى قال أبو الفتح القشيري : بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز. ومنها دفع توهم الحصر، ومنها أن يكون اللفظ عاما ويقوم الدليل على التخصيص.(5)

كما تظهر أهمية هذا العلم في مجال الرد على الطاعنين في كتاب الله والمتعرضين لتحريفه وتأويله على غير وجهه، فقد ذكر الزركشي أن عثمان بن مظغون وعمرو بن معد يكرب كانا يقولان الخمر مباحة ويحتجان بقول الله تعالى ﴿ **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ**

---

(1) الكهف : 83

(2) الإسراء : 85

(3) النازعات: 42

(4) أحمد عادل كمال– علوم القرآن– ص:29-30

(5) الزركشي– البرهان في علوم القرآن: 1/22-23

فِيمَا طَعِمُوا.. ﴾[1]، وخفي عليها سبب النزول وهو ما قاله الحسن وغيره لما نزل تحريم الخمر قالوا: كيف بأخوتنا[2] الذين ماتوا وهي في بطونهم، وقد أخبر الله أنها رجس فأنزل الله هذه الآية.

والطريق الوحيد لمعرفة أسباب النزول هو النقل الصحيح ولا مجال فيها للعقول، وعلى هذا فإن روى سبب النزول عن صحابي فهو مقبول وإن لم يعزز برواية أخرى تقوية وذلك لأن قول الصحابي في ما لا مجال للإجتهاد فيه حكمه حكم المرفوع إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) لأنه يبعد أن يكون الصحابي قد قال ذلك من تلقاء نفسه، أما إذا روي سبب النزول بحديث مرسل أي سقط من سنده الصحابي وانتهى إلى التابعين فحكمه أنه لا يقبل إلا إذا صح وعزز بمرسل آخر وكان الراوي له من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير.[3]

ونظرا للفوائد الجمة التي يقدمها العلم بأسباب النزول ولكونه من الأدوات التي يستعين بها المفسرون فإن ابن الجوزي في كتابه "زاد المسير" ظهر شديد العناية بالوقوف على أسباب النزول واعتنى بها تفسيره. فلا يكاد يغادر آية من القرآن العظيم فيها سبب للنزول إلا ذكره قبل تفسيره الآية الكريمة إن كان قولا واحدا أورده ونسبه إلى رواية معبرا عن ذلك باللفظ الصريح إما بقوله سبب نزول هذه الآية كذا أو يذكر السبب ثم يقول فنزلت هذه الآية.

فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[4].

يقول : قال ابن عباس : كان عبد الله بن أبي، ومعتب بن قشير، والجد بن قيس، إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ونشهد أن صاحبكم صادق، فإذا خلوا لم يكونوا كذلك، فنزلت هذه الآية.[5]

---

(1) المائدة : 93

(2) البرهان في علوم القرآن: 27/1

(3) مناهل العرفان: 114/1

(4) البقرة :9

(5) زاد المسير: 29/1

وعند تفسيره قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾(1) يقول: سبب نزولها، أن اليهود قالوا : هذا الذي يأتينا له محمد لا يشبه الوحي، وإنا لفي شك منه فنزلت هذه الآية(2).

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾(3) سبب نزولها أن اليهود قالت لما نسخت القبلة أن محمدا يحل لأصحابه إذا شاء ويحرم عليهم، إذا شاء فنزلت هذه الآية.(4)

وإذا كان في سبب نزول هذه الآية أكثر من قول ذكر الأقوال كلها غير مناقش لها أو مرجحا؟ أحدها إلا في مواضع قليلة، يقول عند تعرضه لتفسير الآية الكريمة : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾(5).

في سبب نزولها خمسة أقوال :

أحدها : أن رافع بن حريملة، ووهب بن زيد قالا لرسول الله إيتنا بكتاب نقرؤه تنزله من السماء، وفجر لنا أنهارا حتى نتبعك فنزلت الآية. قاله ابن عباس

والثاني : أن قريشا سألت النبي أن يجعل لهم الصفا ذهبا فقال هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل، إن كفرتم فأبوا. قاله مجاهد.

والثالث : أن رجلا قال يا رسول الله لو كانت كفارتنا ككفارات بني إسرائيل فقال النبي: اللهم لا نبغيها ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل، كانوا إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها، فإن كفرها كانت له خزيا في الدنيا وإن لم يكفرها كانت له خزيا يوم القيامة فقد أعطاكم الله خيرا مما أعطى بني إسرائيل فقال : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. فنزلت هذه الآية. قاله أبو العالية.

---

(1) البقرة : 23

(2) زاد المسير: 49/1

(3) البقرة: 106

(4) زاد المسير: 127/1

(5) البقرة: 108

والرابع : أن عبد الله بن أمية المخزومي أتى النبي في رهط من قريش فقال يامحمد والله لا أو من بك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا. فنزلت الآية. ذكره ابن السائب.

والخامس :أن جماعة من المشركين جاءوا إلى النبي فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا، وقال بعضهم لن نؤمن لك حتى تسير لنا جبال مكة، وقال آخر هلا جئت بكتابك مجتمعا كما جاء موسى بالتوراة. فنزلت هذه الآية.(1)

وفي بعض المواضع يذكر ابن الجوزي أسباب نزول الآية الكريمة ثم يوجه المعنى حسب الأقوال التي جاءت في سبب نزولها. يقول عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾(2).

أختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها في الذين قيل لهم : ﴿ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾(3). فعلى هذا تكون الهاء والميم في (لهم) عائدة عليهم.

والثاني : أنها نزلت في اليهود، وهي قصة مستأنفة فتكون الهاء والميم كناية عن غير مذكور. ذكره ابن عباس.

والثالث : أنها في مشركي وكفار قريش فتكون الهاء والميم عائدة على قوله ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا ﴾(4).

وعلى القول الأول يكون المراد بما أنزل الله تحليل الحلال وتحريم الحرام، وعلى الثاني يكون الإسلام، وعلى الثالث يكون التوحيد والإسلام.(5)

ونفس المنهج يسلكه عند شرح قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾(6).

---

(1) زاد المسير: 1/128-129

(2) البقرة: 107

(3) البقرة: 168

(4) البقرة: 165

(5) زاد المسير: 1/173

(6) آل عمران: 77

في سبب نزولها ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الأشعث بن قيس خاصم بعض اليهود فجحده اليهودي فقدمه إلى النبي، فقال : ألك بينة ؟. قال : لا. قال لليهودي : أتحلف؟ فقال الأشعث : إذن يحلف فيذهب بمالي فنزلت الآية. أخرجه البخاري ومسلم

والثاني : أنها نزلت في اليهود عهد الله إليهم في التوراة تبيين صفة محمد فجحدوا وخالفوا لما كانوا ينالونه من سفلتهم من الدنيا. قاله عكرمة ومقاتل.

والثالث : أن رجلا أقام سلعته في السوق أول النهار، فلما كان آخره جاء الرجل يساومه فحلف لقد منعها أو النهار من كذا ولولا المساء لما باعها به. فنزلت هذه الآية. قاله الشعبي ومجاهد.

فعلى القول الأول والثالث يكون معنى العهد: لزوم الطاعة وترك المعصية، وعلى الثاني: يكون معنى العهد: ما عهده الله إلى اليهود في التوراة.(1)

---

(1) زاد المسير : 411/1

المبحث الثاني

الناسخ والمنسوخ

الناسخ والمنسوخ

علم الناسخ والمنسوخ من أشد وأوثق العلوم صلة بالتفسير والعلم به عظيم الشأن، وقد نبه العلماء إلى أنه لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف الناسخ والمنسوخ، ويذكرون أن علي بن أبي طالب، قال لقاض : أتعرف الناسخ والمنسوخ قال : لا. قال : هلكت وأهلكت.(1)

ويرجع في معرفة النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله (ص) أو عن صحابي يقول آية كذا نسخت آية كذا، ولا يعتمد في هذا المجال قول عوام المفسرين أو المجتهدين بالرأي.

وجمهور العلماء متفقون على جواز النسخ ووقوعه سمعا وعقلا، كما أنهم متفقون على أن النسخ لا يقع إلا في الأوامر والنواهي فلا يقع في الأخبار كقصص الأنبياء، ولا في الوعد والوعيد ولا في العقائد، ولا في الأخلاق، إنما يقع فقط في الأحكام الفرعية العملية كأحكام القتال والحدود والميراث.(2)

وينطوي النسخ عن حكم كثيرة منها لتيسير على الأمة، والتدرج في علاج الجماعة الإسلامية في عصرها الأول، وقد بعث النبي إلى قوم غير ذي شريعة ولا منهاج ثابت، فلو نزلت عليهم الشريعة بتكاليفها دفعة واحدة ما أطاقوها ولنفروا منها فجاءت شيئا فشيئا، متلطفة في دعوتهم، متدرجة بهم إلى الكمال رويدا رويدا لتسير بهم من الأسهل إلى السهل ومن السهل إلى الصعب.(3)

ولما لعلم النسخ من أهمية بالغة في التفسير فإن ابن الجوزي كان شديد العناية به في كتابه"زاد المسير" خاصة وأنه من العلماء الذين كتبوا فيه كما أشار إلى ذلك الزركشي في البرهان(4)، وينسب إليه في هذا الشأن كتابان أحدهما بعنوان (عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ). والثاني بعنوان (المصفى بأكف أهل الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ).

---

(1) البرهان في علوم القرآن: 29/2

(2) أحمد عادل كمال -- علوم القرآن:99

(3) عبد العظيم الزرقاني. مناهل العرفان: 194/2

(4) البرهان في علوم القرآن: 28/2

ولم يترك في "زاد المسير" آية فيها للعلماء قول بالنسخ إلا نبه إليه ذاكرا ومناقشا وسأعرض في هذا البحث نماذج في ذلك. وطريقته في تناول موضوع النسخ في الآيات التي فيها نسخ أنه يتعرض لتفسيرها أولا ثم يعقد فصلا لبحث موضوع النسخ، فمثلا بعد أن يفسر قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.﴾(1).

يقول : وهل هذه الآية محكمة أم منسوخة ؟ فيه قولان :

أحدهما : أنها محكمة، قاله مجاهد والضحاك وقدروا فيها : إن الذين آمنوا، ومن آمن من الذين هادوا...

والثاني : أنها منسوخة بقوله ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾. ذكره جماعة من المفسرين.(2)

ولم يكن ابن الجوزي مجرد ناقل فحسب لأقوال العلماء في موضوع النسخ، بل وقف عند كثير منها مناقشا ومرجحا. ففي تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾(3).

يقول : ذهب بعض المفسرين إلى أن الآية تضمنت مدحهم على إطعام الأسير المشرك وقالوا هذا منسوخ بآية السيف، وليس هذا القول بشيء فإن في إطعام الأسير المشرك ثوابا وهذا محمول على صدقة التطوع، فأما الفرض فلا يجوز صرفه إلى الكفار.(4)

وعند تفسيره لقول الله –عز وجل– : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾(5)

يقول : وذكر المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولا يصح لأن معنى الآية الوعيد.(6)

---

(1) البقرة : 62

(2) زاد المسير : 92/1

(3) الإنسان: 8

(4) زاد المسير :434/8

(5) المعارج: 42

(6) زاد المسير : 59/8

وانطلاقا من أن النسخ لا يقع إلا في الأوامر والنواهي ولا يقع في الوعيد والأخبار، فإن ابن الجوزي رد كثيرا من الأقوال التي تقول بالنسخ. ففي قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(1) :

يذكر أن الحسن وعكرمة قالا هذه الآية منسوخة بقوله : (وما لهم ألا يعذبهم الله..)، ثم يقول وهذا فيه بعد لأن النسخ لا يدخل على الأخبار(2).

كما اعتبر كثيرا من الآيات عدها العلماء منسوخة من قبيل العام الذي دخله التخصيص.

يقول بعد تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ. أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ.﴾(3)

وقد ذهب قوم إلى أن الآية منسوخة بالإستثناء في ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا..﴾(4)

وهذا ليس بنسخ لأن الإستثناء إخراج بعض ما شمله اللفظ، وذلك يقتضي التخصيص دون النسخ، ومما يحقق هذا اللفظ أن الناسخ والمنسوخ لا يمكن العمل بأحدهما إلا بترك العمل بالآخر وهنا يمكن العمل بالمستثنى والمستثنى منه.(5)

كما اعتبر قوله تعالى : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾(6) مخصص لقوله تعالى : ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ وليس ناسخا له(7)

كما يرى ابن الجوزي أن بعض الآيات يأتي تفسيرا لآية أخرى ولا يعد ناسخا في شيء. يقول تعليقا على قوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾(8) :

---

(1) الأنفال : 34

(2) زاد المسير: 350/3

(3) البقرة :159

(4) البقرة :160

(5) زاد المسير: 166/1

(6) المائدة : 5

(7) زاد المسير: 243/8

(8) آل عمران: 102

(9) التغابن: 16

أختلف العلماء هل هذا محكم أو منسوخ ؟ على قولين :

أحدهما : أنه منسوخ بقوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾(1)

والثاني أنها محكمة.

ثم يقول : قال شيخنا علي بن عبيد الله والإختلاف في نسخها وإحكامها يرجع إلى اختلاف المعنى المراد، فالمعتقد نسخها يرى أن معنى (حق تقاته) الوقوف على جميع ما يجب له ويستحقه وهذا يعجز الكل عن الوفاء به. والمعتقد إحكامها يرى أن (حق تقاته) أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله (ما استطعتم) مفسرا (لحق تقاته) لا ناسخا ولا مخصصا.(2)

وحيث يمكن الجمع بين معنى الآيتين فإن ابن الجوزي يرد القول لكون أحدهما ناسخة والأخرى منسوخة.

يقول عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾(3)

قال أبو صالح عن ابن عباس : نسختها آية السيف.

وليس هذا صحيح لأنه لاتنافي بين الآيتين.(4)

ويرد قول المفسرين بأن قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾(5) منسوخ بقوله ﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾(6)

ويقول هذا لا يصح لأنه لا يوفي إلا لمن يريد(7).

كما لا يرى وجها للنسخ في قوله تبارك وتعالى ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾(8) بآية السيف.

ويقول واعلم أنه إذا قلنا إن المنراد بالآية التهديد لم يتوجه نسخ.

---

(1) التغابن: 16

(2) زاد المسير :432/7

(3) يونس: 41

(4) زاد المسير :34/4

(5) هود: 15

(6) الإسراء :18

(7) زاد المسير :84/4

(8) هود: 121-122

أما أكثر الآيات تعرضا لموضوع النسخ عند المفسرين فهي الآيات التي تـأمر بـالصفح، والعفـو، والجدال بالتي هي أحسـن والإعـراض عـن الجـاهلين، والإكتفـاء بـالبلاغ، إذ يجعلـون ذلـك كلـه منسوخا بما يسمونه آية السيف أو آية القتال التي جاءت في سورة التوبة.

وقد وقع ابن الجوزي فيما وقع فيه كثير من المفسرين من الزعم بأن الصفح والعفو والجدال الحسن والإعراض عن الجاهلين كل ذلك منسوخ بآية القتال.

وهذه بعض المواضع منها :

1- قوله تعالى : ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾(1)

قال المفسرون هذا منسوخ بآية السيف.(2)

2- قوله تعالى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾(3)

وأكثر المفسرين على أن هذا القدر منسوخ بآية السيف.(4)

3- قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾(5)

وهذا عند المفسرين منسوخ بآية السيف.(6)

4- ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(7) .

وهذا عند بعض علماء التفسير منسوخ بآية السيف.(8)

5- ﴿ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(9)

قال أكثر المفسرين هذا قبل الأمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف.(10)

---

(1) الحجر : 85

(2) زاد المسير :412/4

(3) الحجر :94

(4) زاد المسير:421/4

(5) النحل : 82

(6) زاد المسير :478/4

(7) النحل : 125

(8) زاد المسير :506/4

(9) الحج :68

(10) زاد المسير :450/5

وقد قال بعض العلماء إن هذا ليس من المنسوخ بل يعد محكما وهو من قبيل ما شرع لسبب ثم زال سببه فالآيات التي وردت في الحث على الصبر وتحمل أذى الكفار إنما كانت مناسبة لضعف المسلمين وقلتهم فالله أمر المسلمين بالصبر وعدم القتال في أيام ضعفهم وقلة عددهم لعلة الضعف والقلة ثم أمرهم بالجهاد في أيام قوتهم وكثرتهم لعلة القوة والكثرة.(1)

ويرى فريق من العلماء أن الآيات الداعية إلى المهادنة ليست منسوخة وإنما حكمها باق يعمل في الحال التي تناسبه(2)، يقول الزركشي في البرهان :

(وهو سبحانه وتعالى حكيم، أنزل على نبيه (ص) حين ضعفه ما يليق بتلك الحالة رأفة بمن اتبعه، ورحمة. إذ لو وجب القتال من أول الأمر لأورث جرحا ومشقة.. فلما أعز الله الإسلام وأظهره ونصره، أنزل عليه من الخطاب ما يكافئ تلك الحالة.. ويعود هذان الحكمان أعني المسالمة عند الضعف والمسايفة عند القوة بعودة سببهما، وليس حكم المسابقة ناسخا لحكم المسالمة، بل كل منهما يجب إمتثاله في وقته.)(3)

وما أحسن قول الإمام ابن باديس في هذا المقام، إذ يقول :

(وما أكثر ما قتلت أحكام بآية السيف هذه وهي عند التحقيق غير معارضة لها لمباينة حالها لحالها."(4).

ومن الآيات التي كانت موضوع قول بالنسخ أيضا الآيات التي تدعو إلى الإنفاق والصدقات فقد عدها فريق من العلماء منسوخة بآية الزكاة.

أما ابن الجوزي في تفسيره فلا يرى وجها للنسخ، يقول بعد تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾(5)

وأكثر علماء التفسير أن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة وذهب الحسن إلى إحكامها وقال ابن زيد: هي النوافل. وهذا الظاهر من الآية، ولا يصح أن يقال إنها منسوخة.(6)

---

(1) مناهل العرفان :254/2

(2) الإعجاز في دراسات السابقين : عبد الحكيم الخطيب- دار الفكر العربي-ط:1-1974.ص: 464

(3) البرهان :43/2

(4) تفسير ابن باديس-ص: 321- دار الفكر للطباعة.ط:3-1979

(5) البقرة: 215

(6) زاد المسير :234/1

وخلاصة القول في هذا المبحث أن ابن الجوزي من المفسرين الذين يقولون بوجود النسخ في القرآن ولكنه لم يكن من الذين يذكرون الأقوال من غير مناقشة أو معالجة،بل وجدناه يقف عند كثير منها يرد بعضها، ويؤيد البعض الآخر ويناقش كثيرا ومنها وبذلك يعد قد قدم خدمة لعلم من أهم علوم القرآن ألا وهو علم الناسخ والمنسوخ.

القـــراءات

علم القراءات وثيق الصلة بعلم التفسير، والمعرفة به من العلوم اللازمة للمفسر. وإذا كان علم القراءات، وعلم التفسير متمايزين برجوع التفسير إلى الدراية ورجوع القراءات إلى الرواية، فإنهما متصلان من وجه بما للرواية من أثر في تحقيق الدراية.(1)

وللقراءات حالتان : إحداهما لا تعلق لها بالتفسير بحال، والثانية لها تعلق من جهات متفاوتة.

أما الأولى : فهي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات كمقادير المد والإمالات، والتخفيف والتسهيل والتحقيق والغنة والإخفاء والإدغام إلى غير ذلك مما يتعلق بعلم التوجيد، وهذا لا علاقة له بالتفسير لا من قريب ولا من بعيد.

والثانية : وهي تتعلق بحروف الكلمات القرآنية وحركاتها بحيث يختلف المعنى لإختلاف الحركة أو الحرف.

وهذه الجهة هي التي لا تريد لها مزيد تعلق بالتفسير، لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد عن نظيره في القراءة الأخرى أو يثير معنى غيره، ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة نحو قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾، بسكون الطاء وضم الهاء، والقراءة الأخرى ﴿ حتى يَّطَّهَّرْنَ﴾ بفتح الطاء المشددة والهاء المشددة(2) ونحو ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ ﴾ و﴿لَمَسْتُمْ﴾.

ولا يشترط في القراءات التي يستعان بها على إيضاح معاني الآيات القرآنية أن تكون متواترة فالقراءة المشهورة أو الشادة مقبولة في التفسير وهي عند العلماء من آحاديث الآحاد الصحيحة في هذا الشأن، ولذلك يكثر المفسرون من إيرادها والإستشهاد بدلالات ألفاظها.

وقد كان ابن الجوزي كغيره من المفسرين كثير العناية بالقراءات القرآنية باختلاف أنواعها، لا يغادر آية أو كلمة من القرآن الكريم فيها اختلاف للقراء إلا أشار إليه.

---

(1) ابن عاشور- التفسير ورجاله:39- دار الكتب الشرقية- تونس- طبعة ثانية: 1972

(2) خالد عبد الرحمان العك- أصول التفسير وقواعده- دار النفائس- ط:2-ص :428-429

وقد ساعده على ذلك علمه بالقراءات فقد حفظ القرآن الكريم وقرأه مجودا على جماعة من أئمة القراءة وقرأ في كبره بالروايات على ابن الباقلاني كما قرأ أيضا على أبي بكر محمد حسين المزرفي(1).

ويعتبر نصيب القراءات في تفسيره وافرا بالقياس إلى علوم القرآن الأخرى كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

أما طريقة استخدام ابن الجوزي للقراءات فتظهر في التزامه طريقة معينة فيها، وذلك أنه يبدأ قبل التفسير، ذاكرا خلاف القراء في الآية، وناسبا كل قراءة إلى أصحابها، يقول عند قوله تعالى ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾(2)، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم ، وحمزة، والكسائي: (نغفر) بالنون مع كسر الفاء.

وقرأ نافع وأبان عن علصم (يغفر) بياء مضمومة مع فتح الفاء وقرأ ابن عامر بتاء مضمومة مع الفاء.(3)

وتظهر أهمية القراءات في تفسيره من تعرضه لسائر قراءات الأئمة في اللفظ وتتبعه لها فيما يناظره من ألفاظ القرآن الكريم، وإن لم يكن لاختلافاتهم في القراءة أثر في المعنى. ففي قوله تعالى ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾(4) :

يقول : قرأ ابن كثير (الرياح) على الجمع في خمسة مواضع : ههنا وفي الحجر ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾، وفي الكهف :46 ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾، وفي الروم :46 الحرف الأول ﴿الرياح﴾. وفي الجاثية:4 ﴿وَتَصْرِيفِ الرياح﴾ وقرأ باقي القرآن ﴿الريح﴾.

وقرأ أبو جعفر ﴿الرياح﴾ في خمسة عشر موضعا في البقرة وفي الأعراف:56 ﴿يرسل الرياح﴾. وفي ابراهيم :18 ﴿اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيَاحُ﴾. وفي الحجر:22 ﴿الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾. وفي سبحان آية:19 وفي الكهف :45 ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾، وفي الأنبياء آية: 81 وفي الفرقان :48 ﴿أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾. وفي النمل والثاني من الروم آية:48. وفي سبأ آية:12. وفي ص:36. وفي

---

(1) الداودي – طبقات المفسرين– ج:1– مطبعة الإستقلال الكبرى– ط:1-1972

(2) البقرة: 58

(3) زاد المسير: 85/1

(4) البقرة: 164

الشورى آية:33 ﴿يُسْكِنِ الرِّيَاحَ﴾. وفي الجاثية :5 ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾. وتابعه نافع إلا في : سبحان ورياح سليمان، الأنبياء 81 ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾.

وقرأ حمزة (الرياح) جمعا في موضعين : في الفرقان، والحرف الأول من الروم. وباقيهن على التوحيد. وقرأ الكسائي مثل حمزة إلا أنه زاد عليه في الحجر آية:22 ﴿الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾.

ولم يختلفوا فيما ليس فيه ألف ولام فمن جمع، فكل ريح تساوي أختها في الدلالة على التوحيد والنفع. ومن وحد أراد الجنس[1].

ويقول عند قوله تعالى ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾[2]

قرأ ابن كثير، ونافع : أكلها. والأكل بسكون الكاف حيثما وقع ووافقهما أبو عمرو فيما أضيف إلى مؤنث مثل ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾[3].

فأما ما أضيف إلى مذكر مثل اكله أو كان غير مضاف إلى مكنى مثل ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾[4]: فثقله أبو عمرو. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة والكسائي جميع ذلك مثقلا.[5]

وإذا كان لاختلاف القراءات أثر في المعنى وقف أمام هذا الإختلاف ونبه عليه ووجه المعنى على كل قراءة ففي قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾[6]، قال : قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر حتى (تفجر) بضم التاء والفاء وكسر الجيم مع التشديد، وقرأ عاصم، وحمزة والكسائي (حتى تفجر) بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم مع التخفيف.

فمن ثقل أراد كثرة الإنفجار من الينبوع، ومن خفف فلأن الينبوع واحد[7].

---

(1) زاد المسير :169-168/1

(2) البقرة: 264

(3) الرعد :35

(4) سبأ: 16

(5) زاد المسير : 319/1

(6) الإسراء: 90

(7) زاد المسير: 86/5

وفي قوله تعالى ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾(1)

قال قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بتسكين السين في جميع القرآن إلا في الروم آية48(2) فإنهم حركوا.

وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم بتحريك السين في الموضعين وفي باقي القرآن بالتسكين.

وقرأ ابن عامر هاهنا بفتح السين وفي باقي القرآن بتسكينها.

قال الزجاج: من قرأ كسفا بفتح السين جعلها جمع كسفة وهي القطعة. ومن قرأ كسفا بتسكين السين فكأنهم قالوا اسقطها طبقا علينا يعنون اسقطها علينا قطعة واحدة.(3)

وفي قوله تعالى ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾(4)

قال: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم : (فعززنا) بتشديد الزاي والمعنى قوينا وشددنا. وقرأ أبو بكر والمفضل عن عاصم (فعززنا) خفيفة أراد فغلبنا.(5)

وفي قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾(6)

يقول : قرأ عاصم وابن عامر وحمزة (لما) بالتشديد أي إن الأمم يحضرون يوم القيامة فيجازون فـ"ما" زائدة مؤكدة ومعناه وما كل إلا جميع لدينا محضرون. ومن قرأ (لما) بالتشديد فهي بمعنى "إلا" تقول : سألتك "لما فعلت " وإلا فعلت"(7).

كما تظهر في تفسير ابن الجوزي أثناء تعرضه لاختلاف القراء فكرة المفاضلة بين القراءات، وغالبا ما تكون هذه المفاضلة من قبل اللغويين فيكتفي ابن الجوزي بإيرادها، ففي قوله تعالى :

---

(1) الإسراء: 32

(2) هي قوله تعالى : ﴿ ويجعله كِسَفًا فترى الْوَدْقَ يخرج مِنْ خِلَالِهِ ﴾

(3) زاد المسير: 87/5

(4) يس :14

(5) زاد المسير :11/7

(6) يس: 32

(7) زاد المسير :15/7

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[1]، يورد اختلاف القراء في لفظة (سيئة) فيقول : قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرة (سيئة) منونا غير مضاف على معنى كان خطيئة.

وقرأ عاصم وابن عمرو وحمزة والكسائي (سيئه) مضافا مذكرا، فتكون لفظة (كل) يشار بها إلى سائر ماتقدم.

ثم يتعرض ابن الجوزي لفكرة المفاضلة، فيقول : وكان أبو عمرو لا يرى هذه القراءة، ويعقب بذكر رأي الزجاج فيقول : قال الزجاج وهذا غلط من أبي عمرو لأن هذه الأقاصيص فيها سيئ وحسن، فيها الأمر ببر الوالدين، وإيتاء ذي القربى، والوفاء بالعهد، ونحو ذلك، فهذه القراءة أحسن من قراءة من نصب سيئة، وكذلك قال أبو عبيدة وقال أبو علي: من قرأ سيئة ورأى أن الكلام انقطع عند قوله ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وأن قوله ﴿ولا تقف﴾ لاحسن فيه.[2]

وفي قوله تعالى ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾[3]، قال : قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم (تنفد) بالتاء. وقرأ حمزة وابن عامر والكسائي (ينفد) بالياء، ثم يذكر رأي أبي علي في المفاضلة قائلا : قال أبو علي : التأنيث أحسن لأن المسند إليه الفعل مؤنث، والتذكير حسن لأن التأنيث ليس بحقيقي.[4]

كما أشار إلى المفاضلة بين القراءات عند تفسيره لقوله تعالى ك ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[5]، حيث قال:

قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم (تسبح) بالتاء. وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم (يسبح) بالياء.

قال الفراء : وإنما حسنت الياء ههنا لأنه عدد قليل وإذا قل العدد من المذكر والمؤنث كانت الياء فيه أحسن من التاء، قال عز وجل في المؤنث القليل : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾[6].

---

(1) الإسراء: 38

(2) زاد المسير: 5/36-37

(3) الكهف: 109

(4) زاد المسير: 5/201

(5) الإسراء :44

(6) يوسف :30

ويتدخل ابن الجوزي أحيانا للترجيح بين القراءات المختلفة كما فعل عند تعرضه لقوله تعالى ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾(1).

قال: (لقد علمت) قرأ الجمهور بفتح التاء. وقرأ علي بضمها، وقال ما علم عدو الله، ولكن موسى هو الذي علم، فبلغ ذلك ابن عباس فاحتج بقوله تعالى ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾(2). واختار الكسائي وثعلب قراءة علي رضي الله عنه، واحتج من نصرها بأنه لما نسب موسى إلى أنه مسحور أعلمه بصحة عقله بقوله ﴿ لقد علمت ﴾

ثم يقول ابن الجوزي : والقراءة الأولى أصح لاختيار الجمهور ولأنه قد أبان موسى من المعجزات ما أوجب علم فرعون بصدقه فلم يرد عليه إلا بالتعليل والمدافعة فكأنه قال : لقد علمت بالدليل والحجة ﴿ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ يعني الآيات(3).

وتظهر فائدة أخرى أثناء تعرض ابن الجوزي للقراءات في تفسيره (زاد المسير) وهي الإشارة إلى لهجات القبائل ولغات العرب، من ذلك ما أشار إليه أثناء تفسيره لقوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(4)، فقد قال :

الجمهو على كسر لام "الله" وضمها ابن عبلة، قال الفراء : هي لغة بني ربيعة.(5)

وفي قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾(6)

يستعرض مختلف الوجوه في قراءة الصراط فيقول : يقال إن أصله بالسين لأنه من الإسترواط وهو الإبتلاع فالسراط كأنه يسترط المارين عليه، فمن قرأ بالسين كمجاهد وابن محيص ويعقوب فعلى أصل الكلمة. ومن قرأ بالصاد كأبي عمرو والجمهور فلأنها أخف على اللسان. ومن قرأ بالزاي كرواية الأصمعي عن أبي عمرو، واحتج بقول العرب سقر وزقر.

---

(1) الإسراء :102

(2) النمل :14

(3) زاد المسير: 94/5

(4) الفاتحة :1

(5) زاد المسير: 10/1

(6) الفاتحة: 6

وروى عن حمزة إشمام السين زايا. قال الفراء: اللغة الجديدة بالصاد وهي لغة قريش وعامة العرب يجعلونها سينا وبعض قيس يشمون الصاد فيقول الصراط بين الصاد والسين، وكان حمزة يقرأ الزراط وهي لغة لعذرة وكلب وبين القين يقولون في أصدق : أزدق.(1)

وعند تعرضه للآية الكريمة ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ ﴾(2).

يذكر اختلاف القراء في "سيناء" ويعقب بذكر قول الفراء فيقول : قال الفراء: العرب تقول : سيناء بفتح السين في جميع اللغات إلا في بني كنانة فإنهم يكسرون السين.(3)

ولا يقتصر ابن الجوزي في تفسيره على ذكر القراءات المتواترة فحسب بل يورد أيضا القراءات الشاذة ويستعين بها في تفسير الآيات ففي قوله تعالى ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾(4).

يقول، وفيه قولان :

أحدهما : أمامهم . قاله ابن عباس وقتادة وأبو عبيدة، وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود ﴿ وكان أمامهم ﴾(5).

والثاني : خلفهم.

وفي قوله تعالى : ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾(6) قال : أي كل سفينة صالحة. وفي قراءة أبي كعب " كل سفينة صحيحة".

ويذكر قراءة ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾(7)، فيقول : روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ " وأما الغلام فكان كافرا ".(8)

---

(1) زاد المسير: 1/14-15

(2) المؤمنون- 20

(3) زاد المسير: 5/466

(4) الكهف: 79

(5) زاد المسير: 5/178

(6) الكهف: 79

(7) الكهف: 80

(8) زاد المسير :13/415

وفي موضع آخر يستدل بقراءة ابن مسعود على شرط التتابع في صيام في كفارة اليمين، فيقول : وفي تتابع الثلاثة أيام قولان :

أحدهما : أنه شرط وكان أبي وابن مسعود يقرآن : (فصيام ثلاثة أيام متتابعات). وبه قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وأبو حنيفة وهو قول أصحابنا.

والثاني : ليس بشرط، ويجوز التفريق، وبه قال الحسن ومالك وللشافعي فيه قولان.(1)

وفي قوله تعالى ﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴾(2)

يقول : فيه قولان :

أحدهما : أنه يقول إن الله يشهد أن ما ينطق به لساني هو الذي في قلبي

والثاني : أنه يقول اللهم اشهد علي بهذا القول. وقرأ ابن مسعود "ويسنشهد الله" بزيادة سين وتاء، وقرأ ابن محيض وابن أبي عبلة "ويشهد" بفتح الياء "الله" بالرفع.(3)

ويذكر أحيانا القراءة المتواترة والقرأءة الشاذة ثم يذكر مختلف المعاني حسب كل من القراءتين. ففي قوله تعالى ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ ﴾(4)، يقول :

قرأ الجمهور بضم الفاء، وقرأ ابن عباس وأبو العالية وابن محيص بفتحها. وفي المضمومة أربعة أقوال :

أحدها : من جميع العرب

والثاني: ممن نعرفون

والثالث: من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية

والرابع : بشر مثلكم

وفي المفتوحة ثلاثة أقوال :

أحدها : أفضلكم خلقا.

---

(1) زاد المسير: 415/3

(2) البقرة: 204

(3) زاد المسير: 221/1

(4) التوبة: 128

والثاني : أشرفكم نسبا

والثالث: أكثركم طاعة لله عز وجل.[1]

وهكذا يظهر كتاب زاد المسير غنيا بهذه الثروة العلمية في علم القراءات فيحصل لقارئه مع فائدة الإحاطة بالتفسير الإلمام بمختلف القراءات.

---

(1) زاد المسير :3/520-521

الـفـصـــل الأول

الـقضـــايا اللغـــوية في تـــفسير ابن الـجوزي

الـــبـــاب الـثـالـــث

الـــمســـــائـــل اللـــغـــوية والفقهـيـــة والعـــقائدية ومنهج ابن الـــجوزي في تنـــاولها

تمهيد :

اللغة هي الأساس الأساسي الذي يبنى عليه التفسير، فكان من أولى واجبات المفسر معرفته لعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة)واقدر المفسرين على بيان معاني كلام الله -عز وجل- أمكنهم من هذه العلوم، ومن لم يكن متضلعا فيها فهو أعجز ما يكون عن التفسير حتى لو توفرت له علوم أخرى، ذلك لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين يقتضي فهم معانيه الإحاطة بعلوم العربية وأساليب العرب في كلامهم، وكما أن القرآن نص ديني تعبدنا الله بتلاوته واتباع أحكامه فهو كذلك نص لغوي معجز ببيانه وفصاحته وبلاغته.

من أجل ذلك اتجهت جهود طائفة من المفسرين إلى الكشف عن هذا الجانب المهم من القرآن العظيم ألا وهو الجانب اللغوي، وهم في ذلك بين مكثر ومقل.

وتعد الدراسات الأولى التي كانت تدور حول القرآن الكريم دراسات لغوية أكثر منها تفسيرا، فمعاني القرآن للفراء وإعراب القرآن للزجاج ومجاز القرآن لأبي عبيدة والتي عرفت بكتب المعاني، ينصب جل اهتمام أصحابها على الناحية اللغوية من القرآن الكريم.(1)

ولم تخل كتب التفسير على اختلاف اتجاهات أصحابها، وتنوع اختصاصهم وتباين ثقافتهم من العناية بقضايا اللغة وإن اختلفت درجة الإهتمام بها فيما بينهم.

وكغيره من المفسرين نجد ابن الجوزي لا يغفل هذا الجانب اللغوي المهم من التفسير، بل نذهب إلى القول بأنه أخذ نصيبا وافرا من كتابه، وكانت أغلب مصادره في التفسير ذات طابع لغوي كمعاني القرآن للفراء،وإعراب القرآن للزجاج، وجاز القرآن لأبي عبيدة ومشكل القرآن لإبن قتيبة، كما أشرت إلى ذلك في فصل مصادر التفسير.

وبالإضافة إلى ذلك فإن ابن الجوزي كان ذا ثقافة لغوية واسعة ساعدته على التوفيق في هذا الجانب من القرآن، فقد تلقى اللغة وعلومها على شيخه أبي منصور الجواليقي والذي احتج بكثير من أقواله في مواضع كثيرة من كتابه (زاد المسير).

وكان كلما نقل عنه قولا يردد عبارة (وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي..).

---

(1) أثر التطور الفكري في التفسير: 60

وتردد في كتابه (زاد المسير) أسماء لامعة في سماء علوم اللغة والنحو كسيبويه، والخليل بن أحمد، والمبرد والزجاج والفراء وابن الأنباري وغيرهم.

ولعل في ذلك ما يكشف عن مبلغ عناية ابن الجوزي في تفسيره بالمباحث اللغوية والتي يستعملها كأدوات مساعدة في بيان معاني كلام الله عز وجل.

وسأذكر في هذا الفصل -بعون الله- أهم القضايا اللغوية التي أثارها ابن الجوزي في تفسيره.

المبحث الأول

إعراب القرآن

غني عن البيان وجه اهمية الإعراب في التفسير وضرورته، فإن الإعراب هـو الـذي يبين المعنى ويميزه ويوقف على أغراض المتكلمين، وبمعرفة الإعراب تعـرف أكثر المعاني، وينجلي الإشـكال وتظهر الفوائد ويفهم الخطاب، وتصح حقيقة المراد.

قال صاحب كتاب (أصول التفسير) نقلا عن العكبري: (وأقوم طريق يسلك في الوقوف على معناه –أي القرآن الكريم– ويتوصل إلى تبيين أغراضه ومغزاه، معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه والنظر في وجوه القرآن المنقولة عن الأئمة الأثبات)[1].

والمقصود بالإعراب في مبحثنا هذا ليس معاني اللفاظ وإنما هو المصطلح عليه عند النحاة، وهو الألفاظ موقع اللفظ من النص.

ولم يتعرض ابن الجوزي لإعراب القرآن كله جملةً آية آية وكلمةً كلمةً، وإنما كان يقف بين الحين والآخر عند بعض الكلمات القرآنية فيذكر أقوال النحاة فيها وأكثر من يأخذ عنهم ابن الجوزي في هذا الباب هو الزجاج.

يقول عند تفسير قوله تعالى ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾

قال الزجاج: غير : منصوب على الحال، والمعنى يوصي بها غير مضار.[2]

وهو نص كلام الزجاج في كتابه (معاني القرآن وإعرابه)، فقد جاء في هـذا الكتـاب عنـد شـرح الزجاج لقوله تعالى ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ :

(غير : منصوب على الحال، والمعنى يوصي بها غير مضار)[3].

وعند قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾[4]

---

(1) أصول التفسير وقواعده ص: 157

(2) زاد المسير: 33/3

(3) الزجاج– معاني القرآن: 25/2

(4) النساء: 98

يقول ابن الجوزي : إلا المستضعفين منصوب على الإستثناء من قوله ﴿ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾(1)

وعند تعرضه لقوله تعالى ﴿ الحقُ مِنْ رَبِكَ ﴾(2)

الحق مرفوع على خبر ابتداء محذوف تقديره: الذي أنبأتك به في قصة عيسى الحق من ربك.(3)

أما عند قوله تعالى: ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾(4)، فيقول :

ومستقيما منصوب على حال من صراط، وهذه الحال يقال لها الحال المؤكدة لأن صراط الله لا يكون إلا مستقيما وليست هذه الحال كالحال من قولك هذا زيد راكبا، لأن زيدا قد يخلو من الركوب.(5)

وعند قوله تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(6)

يعرب كلمة (مقتا) فيقول: انتصب مقتا على التمييز، والمعنى كبر قولكم ما لا تفعلون مقتا عند الله.

ويبدو من ذلك أن ابن الجوزي لا يتعرض لإعراب الكلمات لأجل الإعراب فقط، بل لتوضيح المعنى وتوكيده كما هو بين في الأمثلة التي ذكرناها.

ولا يكتفي ابن الجوزي تارة بإعراب الكلمة فقط بل يذكر ما يعده النحاة قاعدة نحوية تعميما للفائدة فتراه عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾(7) :

بعد أن يذكر خلاف القراء في الآية يقول : قال الزجاج: الإختيار عند النحويين أن لا يصرف (قوارير) لأن كل جمع يأتي بعد ألفه حرفان لا ينصرف.

---

(1) زاد المسير: 178/3

(2) البقرة: 147

(3) زاد المسير: 398/1

(4) الأنعام: 126

(5) زاد المسير: 122/3

(6) الصف: 3

(7) الإنسان: 16

ويذكر نفس القاعدة عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾، فيقول: كل جمع كانت فيه ألف قبلها حرفان لم ينصرف مثل: صوامع ومساجد.(1)

وينتهز ابن الجوزي فرصة تفسير قوله تعالى : ﴿ وَحَسِبُوا أَنْ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ﴾(2) ليذكر قاعدة في (أن) المخففة والثقيلة ومتى تكون كل منهما فيقول : قال أبو علي الفارسي: الأفعال ثلاثة: فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره نحو العلم واليقين وفعل يدل على خلاف الثبات، وفعل يجذب إلى هذا مرة وإلى هذا مرة أخرى، فما كان معناه العلم وقعت بعده أن الثقيلة لأن معناها ثبوت الشيء كقوله تعالى ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾(3). وما كان على غير الثبات والإستقرار نحو أطمع وأرجو وقعت بعده أن الخفيفة كقوله ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾(4).

وما كان مترددا بين الحالين مثل حسبت، وظننت فإنه يجعل تارة بمنزلة العلم وتارة بمنزلة أرجو وأطمع.(5)

ولم يخل تفسير ابن الجوزي من لطائف نحوية كقوله عند تفسير قول الله تعالى :﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾(6)، يكاد بمعنى يقارب وهي كلمة إذا اثبتت انتفى الفعل وإذا انتفت اثبت الفعل سئل بعض المتأخرين فقيل له:

أنحوي هذا العصر ماهي كلمة – جرت بلساني جرهم وثمود

إذا نفيت والله يشهد أثبتت – وإن أثبتت قامت مقام جحود

---

(1) زاد المسير: 16

(2) المائدة: 71

(3) النور: 25

(4) البقرة: 229

(5) زاد المسير: 400/3

(6) البقرة: 20

المبحث الثاني

التصريف والإشتقاق

لا تقل عناية ابن الجوزي بالتصريف والإشتقاق عن عنايته بالإعراب، إذ لا تقل أهمية التصريف والإشتقاق عن الإعراب، فإذا كان الإعراب به يتبين المعنى فإنّ بالإشتقاق يكون حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن كلمة واحدة، قال ابن فارس: من فاته علمه -أي الإشتقاق- فاته المعظم لأنا إذا نقول (وجد) كلمة مبهمة فإذا أصرفناها اتضحت فقلنا في المال (وُجْدًا) وفي الغضب (مَوْجِدة) وفي الحزن (وَجْدًا)(1).

وقد أشار ابن الجوزي -في تفسيره- إلى الإشتقاق في مواضع كثيرة نذكر منها عند تفسير قوله تعال : ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾(2)، يقول :

قال الزجاج: اللغو في كلام العرب ما اطرح ولم يعقد عليه أمر.

قال ابن فارس: اشتقاقه من قولهم لما لا يعتدبه من أولاد الإبل في الدية لغوا.

ويقال منه: لغا لغوا، ويقال: لغا إذا لهج به، وقيل إن اشتقاق اللغة منه.(3)

وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾(4)

يقول ابن الجوزي : فأما الرجس فقال الزجاج : هو اسم لكل ما استقذر من عمل ، يقال رجس الرجل يرجس إذا عمل عملا قبيحا، والرجس بفتح الراء: شدة الصوت، فكأن الرجس العمل الذي يقبح ويرتفع ذكره في القبح، ويقال رعد راجس إذا كان شديد الصوت.(5)

ونص عبارة الزجاج في كتاب (المعاني) ما يلي : (والرجس في اللغة اسم لكل مستقذر من عمل، فبالغ الله في ذم هذه الأشياء وسماها رجسا، يقال رجس الرجل يرجس ورجس يرجس إذا

---

(1) البرهان في علوم القرآن: 297/1

(2) البقرة: 225

(3) زاد المسير: 254/3

(4) المائدة: 90

(5) زاد المسير: 417/3

عملا قبيحا، والرجس بفتح الراء شدة الصوت، فكان الرجس العمل الذي يقبح ذكره ويرتفع في القبح، ويقال سحاب ورعد رجاس إذا كان شديد الصوت.)[1]

وعند تفسير قول الله تعالى : ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾[2]

يشرح ابن الجوزي معنى السفرة ثم يقول : قال الزجاج: واحدهم سافِر وسَفَرَة مثل كاتِب وكَتَبَه وكافر وكفرة وإنما قيل للكتاب سفر، وللكتاب سافر لأن معناه أنه يبين الشيء ويوضحه، يقال أسفر الصبح إذا أضاء وسفرت المرأة إذا كشف النقاب عن وجهها ومنه سفرت بين القوم أي كشفت ما قلب هذا لأصلح بينهم.[3]

كما يتعرض ابن الجوزي في تفسيره إلى تصريف الألفاظ في كثير من المواضع أذكر منها :

فعند قوله تعالى : ﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾[4]

يقول: الفلك: السفينة، قال ابن قتيبة: الواحد والجمع بلفظ واحد، وقال غيره واحده فلكة ويذكرو يؤنث.

وقال الزجاج : الفلك السفن، ويكون واحدا ويكون جمعا لأن فعل وفعل جمعهما واحد ويأتيان كثيرا بمعنى واحد، يقال العجم والعجم.[5]

ويذكر عند قوله تعالى : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾[6]

قول الفراء: الغرون: الحلق والجماعات واحدتهما عزة، وقول أبي عبيدة: عزين جمع عزة مثل ثُبَة وثُبِين فهي جماعات في تفرقة.

---

(1) معاني القرآن وإعرابه: 224/2

(2) عبس: 15

(3) زاد المسير: 29/6

(4) البقرة: 164

(5) زاد المسير: 270/1

(6) المعارج: 37

المبحث الثالث

معاني الحروف

أظهر ابن الجوزي في تفسيره اهتماما واضحا ببيان معاني الحروف كلما سنحت فرصة لذلك، ومعاني الحروف مبحث لغوي هام يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلول الحرف باختلاف موقعه، فيترتب عليه اختلاف مدلول الكلام والإستنباط بإختلاف المدلول، ومعرفة معاني الحروف تلتمس عند النحاة كما نص عليه الزركشي في البرهان حيث قال: (ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة اسما وفعلا وحرفا، فالحروف لقلتها تكلم النحاة على معانيها فيؤخذ ذلك من كتبهم.)(1)

وابن الجوزي في تفسيره كان شديد الإهتمام ببيان معاني الحروف، كثير الوقوف عندها، فعند تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾، يقول: (إلى) بمعنى (مع) كقوله : ﴿ من أنصاري إلى الله﴾ أي مع الله(3).

وفي قوله تعالى ﴿ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَه﴾(4)، يقول ابن الجوزي: وفي (ما) قولان:

أحدهما : أنها زائدة والمعنى أضاءت حوله.

والثانـي : أنهما بمعنى الذي.(5)

أما في قوله تعالى: ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَق ﴾(6)، فيقول :

(على) بمعني الباء، قال الفراء : العرب تجعل الباء في موضع على، فيقول : رميت بالقوس وعلى القوس، وجئت بحال حسنة وعلى حال حسنة.(7)

---

(1) الزركشي- البرهان في علوم القرآن: 291/1

(2) البقرة:

(3) زاد المسير: 94/1

(4) البقرة:

(5) زاد المسير: 39/1

(6) الأعراف: 105

(7) المرجع السابق: 237/3 وانظر معاني القرآن للفراء: 386/1

المبحث الرابع

فوائد لغوية مختلفة

فضلا عما حواه عن تفسير ابن الجوزي من مباحث الإعراب والإشتقاق والتصريف ومعاني الحروف فإنه ضم في ثناياه فوائد لغوية متنوعة كالإشارة مثلا إلى مذاهب العرب في كلامها وأساليبها كالتكرار للإفهام والتوكيد والإختصار للتحفيف والإيجاز.

يقول بعد تفسير قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(1)

فإن قيل ما الفائدة في تكرار قوله ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ؟ فالجواب أن ذلك التكرار لتقرير النعم وتأكيد التذكير بها.

قال ابن قتيبة: من مذاهب العرب التكرار للتوكيد والإفهام كما أن مذاهبهم الإختصار للتخفيف والإيجاز لأن افتنان المتكلم والخطيب في الفنون أحسن من اقتصاره في المقام على فن واحد، يقول القائل منهم: والله لا أفعله ثم والله لا أفعله إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع من أن يفعله، ويقول القائل المستعجل اعجل اعجل، وللرامي إرم، إرم.

وربما جاءت الصفة واستوحشوا من إعادتها ثانية لأنها كلمة واحدة فغيروا منها حرفا ثم أتبعوها الأولى كقولهم: عطشان نطشان، وشيطان ليطان وحسن وبسن.(2)

كما نتعرف من خلال تفسير (زاد المسير) على لغات العرب واختلافهم في نطق بعض الحروف، يقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾(3).

قال الفراء: أهل نجد يقولون: وفيت، وأهل الحجاز يقولون :أوفيت (4)

وعند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾(5)، يقول ابن الجوزي :

---

(1) الرحمن: 13

(2) زاد المسير: 111/8. وانظر: تأويل مشكل القرآن: 235

(3) البقرة: 40

(4) زاد المسير: 73/1

(5) التكوير: 11

في قراءة عبد الله (قشطت) بالقاف وهكذا تقوله قيس وتميم وأسد بالقاف، وأما قريش فتقوله بالكاف والمعنى واحد.

والعرب تقول الكافور والقافور، والقسط والكسط وإذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات.(1)

ولم يفت ابن الجوزي في تفسيره أن يتعرض إلى قضية الألفاظ غير العربية في القرآن الكريم ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى :﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾(2). من أن لفظ المرجان أعجمي معرب فقد قال : (وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: ذكر بعض أهل اللغة أن المرجان أعجمي معرب)(3).

وفي قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾(4)، يقول ابن الجوزي:

(وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي أن الياقوت فارسي معرب والجمع اليواقيت وقد تكلمت به العرب، قال مالك بن نويرة :

لن يذهب اللومَ تاجٌ قد حبيت له – من الزبرجد والياقوت والذهب.)(5)

ومن الفوائد اللغوية التي وردت في تفسير ابن الجوزي الإشارة إلى الفروق بين الألفاظ وهو أمر هام، فقد أشار إلى الفرق بين الولاية والولاية حيث قال بعد تفسير قوله تعالى : ﴿ مَالَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾(6). قال الزجاج من كسر واو الولاية فهي بمنزلة الإمارة وإذا فتحت فهي من النصرة.

وقال ابن قتيبة : الولاية بالفتح للخالق والولاية للمخلوق(7)

---

(1) زاد المسير: 41-40/8

(2) الرحمن: 22

(3) زاد المسير: 113/8

(4) الرحمن: 58

(5) زاد المسير: 113/8

(6) الأنفال: 72

(7) زاد المسير: 385/3

ويذكر الفرق بين المحسات والمحسوسات عند تفسيرقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ (1) فيقول:

قال شيخنا أبو منصور اللغوي:يقال أحسست بالشيء وأحسست به،وقول الناس في المعلومات محسوسات خطأ إنما الصواب المحسات فأما المحسوسات فهي المقتولات يقال: حسه إذا قتله(إذ تحسونهم بإذنه)(2).

كما أشار إلى الفرق بين الميّت بالتشديد والميت بالتخفيف عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾(3).

فقال نقلا عن الفراء :

و العرب تقول لمن لم يمت إنك مائت وميت ولايقول للميت الذي قد مات هذا مائت إنمايقال في الإستقبال فقط.(4)

و تعرض ابن الجوزي أيظا إلى موضوع الأضداد في اللغة عند شرحه لقوله تعالى:﴿ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (5، فقد نقل عن ابن قتيبة أنه قال:

وقد يكون الفوق بمعنى دون وهو من الأضداد ومثله الجون يقال للأبيض والأسود، والصريم للصبح والليل،والناهل للعطشان والريان،والهاجد للمصلي والنائم بالليل ... (6)

تلك بعض الجوانب اللغوية التي أثارها ابن الجوزي في تفسيره (زاد الميسر) سقت منها أمثلة للإستدلال فحسب، ليتبين للقارئ مدى غناء هذا الكتاب بالمادة العلمية في جانب من أهم جوانب التفسير ألا وهو المباحث اللغوية، ولأظهر من خلالها أيضا مدى استخدام ابن الجوزي لعلوم اللغة كأداة من أدوات التفسير التي لابد منها لمن ينصب نفسه مفسرا لكتاب الله عز وجل

---

(1) آل عمران: 52

(2) زاد المسير: 393/1

(3) المومنون: 15

(4) زاد المسير: 464/5

(5) البقرة: 26

(6) زاد المسير: 55/1

المنزل على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- بلسان عربي مبين، وهو يكشف بذلك عن إطلاعه الواسع على علوم العربية وإفادته الجمة من مؤلفات علمائها الذين أزدانت بأقوالهم صفحات كتابه (زاد المسير) وكانت من أحسن الأدوات المستعان بها في بيان معاني كلام الله عز وجل.

الـــفـــصـــل الـــثـــاني

الـــقـــضـــايـــا الفقهيـــة في تـــفسيـــر ابن الـــجـــوزي

ومنـــهـــجـــه في معـــناول آيـــات الأحـــكـــام

المبحث الأول

مذهبه الفقهي

المبـحث الأول :

مـذهـبه الفقهي

ابن الجوزي حنبلي المذهب، شديد التمسك به، كثير الثناء على الإمام أحمد، وقد حـدث عـن سبب اختياره لمذهب الإمام أحمد على غيره، فقال :

(واعلم أنا نظرنا في أدلة الشرع، وأصـول الفقـه وسـبرنا أحـوال الأعـلام المجتهديـن فرأينـا هـذا الرجل- يعني الإمام أحمد- أوفرهم حظا من تلك العلوم فإنه كان من الحـافظين لكتـاب اللـه عـز وجل، وكان رضي الله عنه من المصنفين في علوم القرآن والتفسير والمنسوخ والمقـدم والمؤخـر إلى غير ذلك. وأما النقل فقد سلم له الكل بانفراده فيه .بما لم ينفـرد بـه سـواه مـن الأئمـة مـن كـثرة محفوظه منه، ومعرفة صحيحه من سقيمه، وفنون علومه، وكان يذكر الجرح والتعديل والعلـل مـن حفظه إذا سئل كما يقرأ الفاتحة، وضم إلى العلوم ما عجز القوم عنـه مـن الزهـد في الدنيـا، وقـوة الورع، ولم ينقل عن أحد من الأئمة أنه امتنع من إرفاق السلطان، وهدايا الإخوان كامتناعه ولولا خدش وجوه فضائلهم لذكرنا عنهم ما قبلوه، وترخصوا بأخذه، ثم إنه ضم إلى ذلك الصبر على الإمتحان وبذل المهجة في نصرة الحق ولم يكن ذلك لغيره.)[1]

وقال في موضع آخر من كتابه (مناقب الإمام أحمد):

(بحثت على نائلي مرتبة الكمال في الأمرين -أعني العلم والعمل- فلم أجد من تم له الأمران على الغاية التي لايخدش وجه كما لها نوع انتقـاص سـوى ثلاثـة أشـخاص: الحسـن البصـري، وسـفيان الثوري، وأحمد بن حنبل، وقد جمعت كتابا يحوي مناقب الحسن، وكتابا يجمع فضائل سـفيان، ثـم رأيت أحمد بن حنبل أولى بذلك لأنه جمع من العلوم مالم يجمعا وحمل من الصبر علـى إقامـة الحـق ما لم يحملا فرأيت أن أصرف بعض زمني إلى تهذيب كتـاب يشـمل علـى مناقبـه وآدابـه ليعـرف المقتدي قدر من اقتدى به والله الموفق.)[2]

---

(1) ابن الجوزي - مناقب الإمام أحمد- دار الآفاق الجديدة- ط:3-1982-ص :496

(2) مناقب الإمام أحمد:6

المبحث الثاني

الأحكام الفقهية وطريقة ابن الجوزي في تناولها

ومع هذا الميل الشديد الإمام أحمد، فإن ابن الجوزي كان يكره التعصب المذهبي وينسب المعتصبين إلى قلة العلم ولو كانوا علماء، فيقول: (رأيت جماعة من المنتسبين إلى العلم يعملون علم العوام فإذا صلى الحنبلي في مسجد شافعي ولم يجهر غضبت الشافعية وإذا صلى شافعي في مسجد حنبلي غضبت الحنابلة، وهذه مسألة اجتهادية والعصبية فيها بمجرد الهوى يمنع منه العلم.)[1]

ويبين في موضع آخر أن حبه لمذهبه لايفقده كيانه المستقل وشخصيته المتميزة عند القول بالتداوي: (أرى أن التداوي مندوب إليه وقد ذهب صاحب مذهبي إلى أن ترك التداوي أفضل، ومنعني الدليل من إتباعه في هذا فإن الحديث الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : ما أنزل الله داء إلا وله دواء فتداووا.)[2]

هذه مقدمة وجيزة في تحديد مذهب ابن الجوزي الفقهي قدمتها بين يدي الحديث عن منهجه في تناول القضايا الفقهية وكيفية معالجته لها في كتابه (زاد المسير) تعين في معرفة مدى التزامه بمذهبه أو خروجه عنه في بعض المسائل الفقهية.

---

(1) ابن مفلح- الفروع:2/16-17- دار مصر للطباعة- ط:2- 1961

(2) صيد الخاطر : 92

الأحكام الفقهية وطريقة
ابن الجوزي في تناولها

من خلال القراءة لتفسير ابن الجوزي، تبرز الملامح التالية في تناوله لآيات الأحكام، ومعالجة المسائل الفقهية:

(1) إن كتاب (زاد المسير في علم التفسير) لا يعد تفسيرا خاصا بآيات الأحكام فقط، بل هو تفسير عام، لم يغادر فيه صاحبه آية من كتاب الله عز وجل إلا فسرها سواء كانت آية من آيات الأحكام أو آية من آيات الأخبار والقصص أو آية من آيات الوعد والوعيد أو غير ذلك.

ولكن الكتاب -مع كونه عاما- قد احتوى على مباحث فقهية معتبرة واعتنى صاحبه بآيات الأحكام عناية بارزة، ولو جمعت تلك المباحث الفقهية فأفردت بكتاب مستقل لعد في قائمة التفاسير الخاصة بآيات الأحكام لا سيما وأنه لا يوجد -فيما أعلم- كتاب خاص بتفسير آيات الأحكام على مذهب الحنابلة، بينما وجدت تفاسير لآيات الأحكام على المذاهب الأخرى كتفسير (أحكام القرآن) للإمام أبي بكر أحمد بن علي المعروف بالجصاص الحنفي المتوفي سنة 370هـ، و(أحكام القرآن) للإمام أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالكيا الهراس الشافعي المتوفى سنة 504هـ، وكتاب (أحكام القرآن) للقاضي الحافظ أبي محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المالكي المتوفى سنة 543هـ.

وقد أبدى ابن الجوزي في كتابه (زاد المسير) عناية بارزة بآيات الأحكام، فكان يعقد لها فصولا خاصة عند تعرضه لتفسيرها، ويطيل أحيانا الوقوف عندها، ولا يدعها حتى يفيض في بيانها بيانا يغني القارئ وينفعه ويكشف بذلك عن رصيد ابن الجوزي الكبير في المعرفة الفقهية وبالخصوص في مذهب إمامه أحمد رضي الله عنه.

(2) ابن الجوزي فقيه حنبلي، من أعيان الحنابلة مشهود له بذلك عند كل من ترجم له، وقد بينت سابقا حبه لمذهب الإمام أحمد وسبب اختياره له، ومن أجل ذلك نلمح ظاهرة بارزة في

تناوله لآيات الأحكام، إذ يعني دائما بتقرير مذهب الإمام أحمد فتراه يقدمه في الذكر على غيره من المذاهيب الأخرى، ويذكر إمامه أحيانا باسمه المجرد فيقول : وهو قول أحمد، وأحيانا يقرنه بعبارة توحي بالثناء والتبجيل للإمام أحمد، فيقول مثلا : اختلفت الرواية عن إمامنا أحمد وأحيانا يقول : اختلفت الرواية عن أحمد رضي الله عنه.

ويذكر مختلف الروايات عن الإمام أحمد ناسبا كل قول إلى صاحبه، فعند تفسير قوله تعالى ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾(1)، يقول ابن الجوزي :

اختلفت الرواية عن أحمد رضي الله عنه متى يقطع التكبير في عيد الفطر، فنقل عنه حنبل: يقطع بعد فراغ الإمام من الخطبة ونقل الأثرم، إذا جاء المصلى قطع، قال القاضي أبو يعلى يعني إذا جاء المصلى وخرج الإمام.(2)

وعند قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾(3)

اختلفت الرواية عن إمامنا أحمد في السعي بين الصفا والمروة فنقل الأثرم: أن من ترك السعي لم يجزه حجة.

ونقل أبو طالب : لا شيء تركه عمدا أو سهوا، ولا ينبغي أن يتركه.

ونقل الميموني : أنه تطوع(4)

ولأجل توثيق هذه القضية، لرجعت إلى كتاب (المغني) فوجدته يذكر في مسألة (السعي) أقوالا ثلاثة :

أولها : أنه ركن لا يتم الحج إلا به.

والثاني: أنه سنة.

والثالث: أنه واجب وليس بركن.

---

(1) البقرة: 185

(2) زاد المسير: 188/1

(3) البقرة: 158

(4)

وهذا نص كلام المغني : (اختلفت الرواية في السعي فروى عن أحمد أنه ركن لا يتم الحج إلا به وهو قول عائشة وعروة ومالك والشافعي، لما روى عن عائشة قالت طاف الرسول وطاف المسلمون يعني بين الصفا والمروة، فكانت سنة ولعمري ما أتم الله حج من لم يطف بين الصفا والمروة. رواه مسلم.

ولأنه نسك في الحج والعمرة فكان ركنا فيهما كالطواف بالبيت. وروي عن أحمد أنه سنة لا يجب بتركه دم، وروي ذلك عن ابن عباس وأنس وابن الزبير لقوله تعالى ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، ونفي الحرج عن فاعله دليل على عدم وجوبه فإن هذا رتبة المباح.

وقال القاضي هو واجب، وليس بركن إذا تركه وجب عليه دم وهو مذهب الحسن وأبي حنيفة والثوري لأن دليل من أوجبه دل على مطلق الوجوب لا على كونه لا يتم الحج إلا به وقول عائشة معارض بقول من خالفها من الصحابة.)[1]

وإذا ذكر ابن الجوزي أقوال أئمة الحنابلة في مسألة فقهية ما فإنه ينص على ذلك بعبارات خاصة تختلف من موضع لآخر فتارة يقول : قال أصحابنا وأحيانا يقول فعندنا وفي مواضع أخرى يقول : والمنصور من مذهبنا كذا.

ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾[2]

قال أصحابنا : المراد به الإماء دون العبيد.[3]

وعند ذكره لأنواع الطلاق من سني وبدعي يقول: (وإن جمع الطلاق الثلاث في طهر واحد، فالمنصور من مذهبنا أنه بدعة)[4]

---

(1) ابن قدامة – المغني والشرح الكبير: 3407-408- دار الكتاب العربي– بيروت– لبنان.

(2) النور: 31

(3) زاد المسير: 32/6

(4) المرجع السابق: 288/8

وفي التعليق على قوله تعالى ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾

وحكم التتابع في صيام الكفارة يقول ابن الجوزي : (واتفق العلماء على أنه إذا تخلل الصوم، إفطار لغير عذر فعليه الإبتداء فأما إذا تخللها المرض أو الحيض فعندنا لا ينقطع التتابع، وبه قال مالك.)(1)

وهو في الغالب لا يرجح قولا من أقوال أئمة المذهب الحنبلي بل يكتفي بذكرها فقط.

ويبدو اعتداده واعتماده على أقوال اقاضي أبي يعلى كإمام من أئمة مذهب بوضوح في تفسيره إذ ورد ذكره في مواضع كثيرة من الكتاب منها:

عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ والقواعدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾(2)، فيقول ابن الجوزي:

قال القاضي أبو يعلى : وفي هذه الآية دلالة على أنه يباح للعجوز كشف وجهها ويديها بين يدي الرجال وأما شعرها فيحرم النظر إليه، كشعر الشابة(3).

ويقول في تفسير قول الله تعالى ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾(4)

قال القاضي أبو يعلى :(وإنما ذكر الإماء في الآية لأنه قد يظن الظان أنه لا يجوز أن تبدي المرأة زينتها للإماء لأن الذين تقدم ذكرهم أحرار فلما ذكر الإماء زال الإشكال.)(5)

وإذا علمنا أن ابن الجوزي كان في تفسيره شديد العناية بتقرير الإمام أحمد فإنه يحق لنا أن نتساءل هل كان ابن الجوزي ملتزما في كل المسائل الفقهية التي أثارها بمذهبه أم أنه كان يخالف أحيانا أقوال مذهبه ؟

الغالب على ابن الجوزي أنه كان ملتزما بمذهبه وأقوال فقهائه ولتأكيد ذلك وتوثيقه نذكر هذه الأمثلة :

---

(1) زاد المسير: 166/3

(2) النور: 60

(3) زاد المسير: 632/6

(4) النور: 31

(5) زاد المسير: 33/6

المثال الأول :

ذهب ابن الجوزي إلى القول بأن الزواج بالزانية لا يجوز إلا بشرط التوبة من الزنا، وذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين.** ﴾(1)

حيث قال : (ومذهب أصحابنا أنه إذا زنى بامرأة لم يجز له أن يتزوجها إلا بعد التوبة منها)(2)

وهذا الذي قرره ابن الجوزي هو المعتمد في مذهب الحنابلة، فقد ورد في كتاب "المغني والشرح الكبير" مايلي : وإذا زنت المرأة لا يحل نكاحها إلا بشرطين :

أحدهما : إنقضاء عدتها وذلك بالوضع، ولا يحل نكاحها قبل الوضع، وبهذا قال مالك وأبو يوسف، وهو إحدى الروايتين عن أبي حنيفة.

والشرط الثاني: أن تتوب من الزنا(3) لقوله تعالى ﴿ **الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(4)

وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره هذه المسالة حيث قال :(ومن ههنا ذهب الإمام أحمد بن حنبل إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي مادامت كذلك حتى تتساب فإن تابت صح العقد عليها، وكذلك لا يصح تزويج المرأة العفيفة بالرجل المسافح حتى يتوب توبة صحيحة، لقوله تعالى ﴿ **وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(5)

المثال الثاني :

ذهب ابن الجوزي إلى القول بأن الخلوة توجب الصداق والعدة وذلك عند شرحه لقوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا** ﴾(6)

---

(1) النور: 3

(2) زاد المسير: 9/6

(3) المغني والشرح الكبير: 515/8

(4) النور: 2

(5) تفسير ابن كثير: 52-51/5

(6) الأحزاب: 50

حيث قال : أجمع العلماء أنه كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وعندنا (الحنابلة) أن الخلوة توجب العدة وتقرر الصداق.(1)

وهذا الذي ذكره هو المعروف في مذهب الحنابلة فقد ورد في كتاب الشرح الكبير على متن المقنع لإبن قدامة:

(روي عن أحمد إذا خلا بالمرأة وجب الصداق والعدة)(2)

المثال الثالث :

يرى ابن الجوزي أن المرض المبيح للفطر ليس على الإطلاق وإنما المرض المبيح للفطر هو الذي يزيد بالصيام، حيث قال بعد شرحه آية الصيام :

(وليس المرض والسفر على الإطلاق فإن المريض إذا لم يضر به الصوم لم يجز له الإفطار وإنما الرخصة موقوفة على زيادة المرض بالصوم)(3)

وجاء في كتاب (المغني):

أجمع أهل العلم على إباحة الفطر للمريض والأصل فيه قوله تعالى ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾(4) ،والمرض المبيح للفطر هو الذي يزيد بالصوم أو يخشى تباطؤ برئه، قيل لأحمد متى يفطر المريض قال إذا لم يستطع الصوم، قيل مثل الحمى ؟ وقال: وأي مرض أشد من الحمى(5).

ويشعر القارئ لتفسير ابن الجوزي أحيانا بانتصاره لمذهب الإمام أحمد ودفاعه عنه في بعض القضايا الخلافية، ففي مسالة وقوع الطلاق قبل النكاح وعدم وقوعه؟

---

(1) زاد المسير: 50

(2) المغني والشرح الكبير: 482/8

(3) زاد المسير: 185/1

(4) البقرة:

(5) المغني والشرح الكبير: 86/3

يذكر ابن الجوزي بعد تفسير قوله تقعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾[1]، خلاف العلماء في المسألة قائلا :

اختلف العلماء فيمن قال: إن تزوجت فلانةفهي طالق ثم تزوجها فعندنا أنها لا تطلق، وهو قول ابن عباس، وعائشة والشافعي، واستدل أصحابنا بهذه الآية وأنه جعل الطلاق بعد النكاح، وقال سماك بين الفضل: النكاح عقدة والطلاق يحلها فكيف يحل عقدة لم تعقد؟ فجعل بهذه الكلمة قاضيا على صنعاء.

وقال أبو حنيفة ينعقد الطلاق فإذا وجد النكاح وقع وقال مالك ذلك في خصوص النساء وهو إذا كان في امرأة بعينها ولا ينعقد في عمومهن.[2]

فمن خلال تقديم ابن الجوزي بقول أئمة مذهبه أولا، وتدعيمه بأنه نفس رأي ابن عباس، وعائشة والشافعي ثانيا، وذكره للدليل القرآني في جعل الطلاق بعد النكاح، ثالثا، وفي ذكره لكلام الفصل: النكاح عقدة والطلاق يحلها فكيف تحل عقدة لم تعقد ؟

في ذلك ما يدل على انتصار ابن الجوزي لمذهب أصحابه في هذه المسألة الخلافية، وربما كانت انتصار ابن الجوزي لهذا الرأي مبينا عن قوة دليله وذلك أن هذا القول قد انبنى على نص قرآني بالإضافة إلى أنه قول الأكثرين من الصحابة، فقد قال القرطبي في (الجامع).

استدل بعض العلماء بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ وبمهلة ﴿ ثم﴾ على أن الطلاق لا يكون إلا بعد نكاح، وقال هذا نيف على ثلاثين من صاحب وتابع وإمام سمى البخاري اثنين وعشرين.[3]

ثم ذكر القرطبي أن طلاق المعينة الشخص أو البلد أو القبيلة لازم قبل النكاح وهو رأي مالك وجميع أصحابه.[4]

---

(1) الأحزاب: 49

(2) زاد المسير: 403/6

(3) القرطبي- أحكام القرآن: 203/7- ط:2- دار إحياء التراث العربي- لبنان

(4) المرجع السابق: 203/7

وإذا علمنا أن ابن الجوزي كثيرا ما ينتصر لمذهبه ولا يخرج عنه بما ضربنا من أمثلة فإن ذلك لا ينفي عنه بعض الإستقلالية في الرأي ومن أمثلة ذلك أني وجدته يذهب في تقسيم الطلاق على أربعة أضرب حيث يقول:

الطلاق على أربعة أضرب: واجب، ومندوب، ومحظور، وكروه، فالواجب طلاق المؤلي بعد التربص إذا لم يفئ، وطلاق الحكمين في شقاق الزوجين.

ومندوب: إذا لم يتفقا واشتد الشقاق بينهما ليتخلصا من الإثم.

ومحظور : في الحيض وفي طهر جامعها فيه.

ومكروه : إذا كانت حالهما مستقيمة، وكل واحد منهما قيم على صاحبه.(1)

هذا راي ابن الجوزي في أقسام الطلاق بينهما وجدت أن الحنابلة يجعلون الطلاق خمسة أضرب فقد جاء في كتاب المغني :

الطلاق على خمسة أضرب: واجب وهو طلاق المؤلي بعد التلربص إذا أبى الفيء، وطلاق الحكمين في الشقاق إذا رأينا ذلك.

ومكروه: وهو من غير حاجة إليه.

ومباح : وهو عند الحاجة إليه لسوء خلق المرأة وسوء عشريها والتضرر بها من غير حصول الغرض منها.

ومندوب إليه: عند تفريط المرأة في حقوق الله الواجبة عليها مثل الصلاة ونحوها ولا يمكنه إجباره عليها.

والمحظور: الطلاق في الحيض وفي طهر جامعها فيه.(2)

ومن خلال المقارنة تبيَّن ما ذكره ابن الجوزي وما جاء في كتاب (المغني)، يبدو أن ابن الجوزي لم يذكر ما سمي بالطلاق المباح كقسم من أقسام الطلاق، وأنه خالفه في تعريف المندوب من الطلاق فهو عنده إذا اشتد الشقاق وساءت العشرة، بينما في المذهب عند تفريط المرأة في حقوق الله الواجبة عليها.

---

(1) زاد المسير: 1/ 469

(2) ابن قدامة- المغني- 234/8- دار الكتاب العربي- بيروت-لبنان

ومن الأمثلة التي تبدو فيها استقلالية ابن الجوزي في بعض القضايا الفقهية تفضيله لقول آخر في نفس مذهبه الحنبلي فقد علق ابن الجوزي الطلاق البدعي والسني ثم اثار مسألة الطلاق الثلاث في طهر واحد هل هو بدعة محرم أم لا ؟

وذهب إلى القول بأن المنصور من مذهب أحمد أنه بدعة حيث قال:

(وإن جمع الطلاق الثلاث في طهر واحد فالمنصور من مذهبنا أنه بدعة)[1]، بينما نجد في مذهب الحنابلة رأيين في هذه القضية فالرأي الأول يقول إنه جائز غير محرم ويعد من طلاق السنة، والرأي الثاني أنه بدعة محرم.

جاء في كتاب (المغني) مسألة (ولو طلقها ثلاثا في طهر لم يصبها فيه كان أيضا للسنة).

اختلفت الرواية عن أحمد في جمع الثلاث، فروي أنه غير محرم، اختاره الخرقي وهو مذهب الشافعي.

والثانية: أنه بدعة محرم اختاره أبو بكر وأبو حفص وروي ذلك عن عمر وابن مسعود وهو قول مالك وأبو حنيفة.

ولأجل أن أدلة الرأي الثاني أقوى في المذهب ذكر ابن الجوزي ذلك ونبه على أنه المنصور من المذهب.

أما الأدلة التي تقوي الرأي الثاني فقد جاء ذكرها في كتاب (الشرح الكبير)، وأذكر منها بايجاز واختصار :

عن عمر أنه كان إذا أتي برجل طلق ثلاثا أوجعه ضربا. وعن مالك بن الحارث جاء رجل إلى ابن عباس فقال أن ابن عمي طلق امرأته ثلاثا فقال ابن عباس: إن ابن عمك عصى الله وأطاع الشيطان فلم يجعل الله له مخرجا.

وفي حديث ابن عمر قال: قلت يا رسول الله لو طلقت ثلاثا قال : إذا عصيت ربك وبانت منك امرأتك ولأنه تحريم للبضع بقول الزوج من غير حاجة، ولأنه ضرر وإضرار بنفسه وزوجه من غير حاجة.

---

(1) المغني: 241/8

وربما كان وسيلة إلى عودها إليه حراما، أو بحيلة لا تزيل التحريم فكان أولى بالتحريم من الطلاق في الحيض الذي ضرره بقاؤها في العدة أياما يسيرة، والطلاق في طهر مسها فيه الذي ضرره احتمال الندم بظهور الحمل فإن ضرر جمع الثلاث يتضاعف على ذلك أضعافا كثيرة ولأنه قول من سمينا من الصحابة رواه الأثرم وغيره ولم يصح عندنا في عصرهم خلاف قولهم فيكون إجماعا.)[1]

3- من الملامح البارزة في منهج ابن الجوزي عند تناوله لآيات الأحكام ومعالجة المسائل الفقهية أنه لا يكتفي بذكر رأي الإمام أحمد أو أقوال أئمة مذهبه، بل يذكر إضافة غلى ذلك مما يدل على سعة أفقه وكثرة طإطلاعه، وتخلصه من نزعة التعصب المذهبي.

وبذلك أيضا تكون المباحث الفقهية في تفسيره على طريقة ما يسمى بالفقه المقارن لكن دون تفصيل في ذكر أدلة أصحاب تلك المذاهب الفقهية المختلفة، وليس ذلك بمنقصة فإن كتابه (زاد المسير) لم يكن كتابا خاصا بالأحكام والمسائل الفقهية حتى يلزم بذكر الأدلة مفصلة لكل مذهب من المذاهب الفقهية.

ولتأكيد هذه القضية نضرب أمثلة من تفسير ابن الجوزي تكشف عن عناية صاحب زاد المسير بذكر أئمة المذاهب الأخرى إضافة إلى مذهب إمامه أحمد.

فعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾[2]، يقول في بيان مدة الحيض أقله وأكثره:

أقل الحيض يوم وليلة في إحدى الرواتين عن أحمد، والثانية يوم.

وقال أبو حنيفة أقله ثلاثة أيام

وقال مالك: ليس لأقله حد.

وفي أكثره روايتان عن أحمد: إحداهما : خمسة عشر يوما وهو قول مالك والشافعي، والثانية: سبعة عشر يوما.

وقال أبو حنيفة أكثره عشرة أيام.[3]

---

(1) المغني والشرح الكبير: 8/256-257

(2) البقرة: 222

(3) زاد المسير: 1/250

وفي مسألة (الضرب في الحدود)، يورد ابن الجوزي مختلف أقوال االأئمة فيقول :

اختلف العلماء في شدة الضرب في الحدود فقال الحسن البصري: ضرب الزنا أشد من القذف، والقذف أشد من الشرب، ويضرب الشارب أشد من ضرب التعزير وعلى هذا مذهب أصحابنا.

وقال أبو حنيفة: التعزير أشد الضرب، وضرب الزنا أشد من ضرب الشارب، وضرب الشارب أشد من ضرب القدف.

وقال مالك: الضرب في الحدود كلها سواء غير مبرح.(1)

ولتوثيق هذه الأقوال نذكر ما جاء في كتب أصحاب كل مذهب :

قال الجصاص: وهو من الأحناف (دل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾(2) على شدة ضرب الزاني وأنه أشد من ضرب الشارب والقاذف لدلالة الآية على شدة الضرب فيه، ولأن ضرب الشارب كان من النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجريد والنعال، وضرب الزنا إنما يكون بالسوط، وهذا يوجب أن يكون ضرب الزني أشد من ضرب الشارب؛ وإنما جعلوا ضرب القاذف أخف الضرب، لأن القاذف جائز أن يكون صادقا في قدفه وأن له شهود على ذلك.

ومن جهة أخرى فإن القاذف قد غلظت عليه العقوبة في إبطال شهادته ففير جائز التغليط عليه من جهة شدة الضرب)(3)

وقال القرطبي من المالكية : (قال مالك وأصحابه الضرب في الحدود كلها ضرب غير مبلاح بين ضربين وهو قول الشافعي)(4)

تلك بعض الملامح التي تميز طريقة ابن الجوزي في تناول آيات الأحكام وتكشف عن منهجه في معالجة المسائل الفقهية المختلفة، وهكذا يبدو ابن الجوزي من خلال نظرة شاملة ودقيقة في منهجه مفسرا فقهيا خبيرا بإختلاف الفقهاء ملما بأقوال العلماء على إختلاف مذاهبهم.

---

(1) زاد المسير: 7/6

(2) النور :2

(3) الجصاص: أحكام القرآن: 32/3

(4) القرطبي- الجامع لأحكام القرآن: 163/6

الـــفـــصـــل الـــثـالث

قـــضـــايـــا الـــعقيـــــدة في تـفسير ابن الجـــوزي

المبحث الأول

مذهبه العقائدي

معرفة المذهب العقائدي للمفسر مهم جدا لأنه في الغالب منطلق كل باحث وكاتب. وابن الجوزي من مفسري أهل السنة والجماعة وأكثر الفرق الكلامية تمثيلا لرأيه هي فرقة الأشاعرة[1] وإن كان يخالفهم في بعض المباحث شأن سائر المفسرين، إذ قلما تجد مفسرا صحيح العقيدة، راسخ القدم في علمه ينضبط كل الإنضباط بمذهب عقائدي أو فقهي، فقد يقوده النص إلى مخالفة مذهبه في العقيدة والفقه، وهذه من الميزات التي تدل على سلامة العقيدة، حيث إن القرآن هو الذي يرسم له المذهب وليست قواعد المذهب ولا أصوله فلا نجده مفوضا في جميع المباحث العقائدية، ولا مؤولا، وإنما يؤول إن اقتضى التأويل، ويفوض إن كان التفويض أسلم للعقيدة.

ونستطيع أن نتعرف أكثر على مذهب ابن الجوزي الكلامي من خلال كتابيه (تلبيس إبليس)، و(صيد الخاطر)، فقد جاء في الكتاب الأول : (فإن قال قائل قد عبت طريق المقلدين في الأصول وطريق المتكلمين فما الطريق السليم من تلبيس إبليس ؟ فالجواب أنه ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعوه بإحسان من إثبات الخالق سبحانه وإثباته صفاته على ماوردت به الآيات والأخبار من غير تفسير ولا بحث عما ليس في قوة البشر إدراكه.)[2]

وجاء في الكتاب الثاني : (ومن قرأ الآيات ولم يزد لم ألمه، وهي طريقة السلف)[3].

وإذا كان ابن الجوزي يظهر من خلال هذين النصين سلفيا يقوم بعدم التأويل ويكتفي بإمرار الصفات كما وردت بها الآيات من غير بحث ولا تفسير، فإنه في مواضع أخرى يبدو متحمسا للدعوة إلى التأويل ويشنع على الذين يحملون الأخبار على ظواهرها بما يوهم التشبيه.

---

(1) الأشاعرة : هي الفرقة الإسلامية التي تنسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري من أهل السنة والجماعة، دافع فأحسن الدفاع على مذهب أهل السنة.

انظر: ما كتبه الشيخ محمد الخضر حسين بعنوان (صفحة عن حياة الأشعري)

كمقدمة لكتاب (الإبانة في أصول الديانة).ص:7-16. دار القادرى-ط:1-1991

(2) تلبيس إبليس- ص:102- دار الكتب العلمية-بيروت-ط:1-1983م

(3) صيد الخاطر :ص:83

جاء في كتابه (صيد الخواطر): (عجبت من أقوام يدعون العلم ويميلون إلى التشبيه بحملهم الأحاديث على ظاهرها، فلو أنهم أمروها كما جاءت سلموا، ولكن أقواما قصرت علومهم فرأت أن حمل الكلام على غير ظاهره نوع تعطيل ولو فهموا سعة اللغات لم يظنوا هذا، ومن قرأ الآيات والأحاديث ولم يزد لم ألمه، وهذه طريقة السلف، فأما من قال الحديث يقتضي كذا ويحمل على كذا مثل أن يقول استوى على العرش بذاته وينزل إلى السماء الدنيا بذاته، فهذه زيادة فهمها قائلها من الحس لا من النقل.)[1]

ويشنع في كتاب (التلبيس) على المشبهة ويظهر ميله إلى التأويل فيقول :(ومن الواقفين على الحس أقوام قالوا هو على العرش بذاته على وجه المماسة، فإذا نزل تنقل وتحرك وجعلوا لذاته نهاية وهؤلاء قد أوجبوا عليه المساحة والمقدار واستدلوا على أنه على العرش بذاته بقول النبي – صلى الله عليه وسلم– ينزل الله إلى السماء الدنيا، قالوا ولا ينزل إلا من فوق، وهؤلاء حملوا نزوله على الأمر الحسي الذي توصف به الأجسام، وهؤلاء المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس بسمع في الحديث أنه يدني في عبده المؤمن إليه فيتخايل القرب الذاتي كما يجالس الجنس، وهذا كله جهل بالموصوف.)[2]

وفي موضع آخر من نفس الكتاب يصرح بإمكان التأويل والجنوح إليه، إذ يقول: (ومن الناس من يقول لله وجه وهو صفة زائدة على صفة ذاته، لقوله عز وجل ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾، وله يد أو أصبع وله قدم إلى غير ذلك مما تضمنته الأخبار، وما يؤمن هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا أنه صفة زائدة، وعلى هذا فسر الآية المحققون فقالوا ويبقى ربك وقالوا في قوله ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يريدونه، وما يؤمن هؤلاء أن يكون أراد بقوله قلوب العباد بين أصبعين أن الأصبع لما كانت هي المقلبة للشيء، وأن ما بين الأصبعين يتصرف فيه صاحبه كما يشاء ذكر ذلك، لأن ثمة صفة زائدة.)[3]

---

(1) صيد الخاطر :83

(2) تلبيس إبليس: 101

(3) المرجع السابق:101

ولعل تردد ابن الجوزي بين التأويل والتفويض هو الذي جعل طائفة من علماء الحنابلة ينقمون عليه ويوقعون به الملام من ذلك ماذكره ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب عن ابن رجب الحنبلي، حيث قال : (نقم عليه جماعة من مشايخ أصحابنا - يعني الحنابلة- وأئمتهم ميله للتأويل في بعض كلامه واشتد نكيرهم عليه في ذلك ولاريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف وهو وإن كان مطلعا على الأخبار والآثار لم يكن يحل شبه المتكلمين ويبين فسادها، وكان معظما لأبي الوفاء بن عقيل[1] متابعا لأكثر ما يجده في كلامه وإن كان قد رد عليه في بعض المسائل وكان ابن عقيل بارعا في الكلام ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار ولهذا يضطرب في هذا الباب وأبو الفرج تابع له.)[2]

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى تردد ابن الجوزي في هذه المسألة أي مسألة النفي والإثبات، فقال : إن أبا الفرج نفسه متناقض في هذا الباب لم يثبت على قدم النفي لا على قدم الإثبات فهو في هذا الباب مثل كثير من الخائضين من أنواع الناس يثبتون تارة و ينفون أخرى كما هو حال أبي الوفاء ابن عقيل وأبي حامد الغزالي .)[3]

ولعل السبب في نقمة بعض علماء الحنابلة عليه أنهم يعدونه مخالفا لإمامه أحمد بن حنبل رضي الله عنه، إذ المعروف عنه أنه لا يقول بالتأويل مطلقا بل يرى التفويض وإمرار النصوص كما جاءت من غير بحث ولا تفسير هو الأصل الصحيح في هذا الباب ونقل عنه ذم الكلام وأهله.[4]

وابن الجوزي في تفسيره (زاد المسير) يجنح إلى التأويل في مواضع متعددة كما سأبينه في المباحث التالية إن شاء الله تعالى.

---

(1) أبو الوفاء علي محمد بن عقيل البغدادي، شيخ الحنابلة في عصره، ولد سنة 430هـ. وتوفى سنة513هـ. ابن الجوزي- مناقب الإمام أحمد- ص:526

(2) شذرات الذهب: 321/3

(3) محمد بن عبد الرحمان الخراوي- المفسرون بين التأويل والإثبات-ص:35- نقلا عن كتاب مجموع الفتاوي لابن تيمية.

(4) أحمد بن نبل- العقيدة : تحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان- دار قتيبة- ط:1988:1-ص: 32

المبحث الأول

أدلة التوحيد والأسماء والصفات

أهـــم الـــقضايا العقائـدية التي تناولها
ابن الـجوزي في تفسيره

يعد تفسير ابن الجوزي تفسيرا عاما، أي لا يختص بجانب معين من جوانب التفسير كالفقه مثـلا فهو ليس من الكتب التي تعني بتفسير الأحكام فحسب، أو ينصب إهتمام أصحابها على الجـانب الفقهي من التفسير كما لا يعد تفسـيرا خاصـا بالمعـاني والقضايـا اللغويـة، ولا هـو تفسـير خـاص بقضايا العقيدة والمباحث الكلامية، بل هو تفسير شامل عام يتعرض لكل تلك الأنواع من القضايـا مع تفاوت في درجة الإهتمام بها، وإذا كان اهتمام ابن الجوزي بالمسائل الفقهية يأخذ نصيبا وافـرا من كتابه (زاد المسير) فإن عنايته بالمباحث العقائدية تعد محدودة بالقياس إلى مسائل الفقه واللغة.

غير أن ذلك لم يمنع ابن الجوزي من تعرضه إلى بعض المسـائل العقائديـة أثنـاء التفسـير وإن لـم يكن يطيل الوقوف عندها أو يسهب في مناقشتها. وسأحاول في هذا الفصل أن أبين أهـم المسـائل العقائدية التي تعرض لها مقسما إياها إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : قضية الأسماء والصفات

والمبحث الثاني: قضية النبوة

والمبحث الثالث: قضايا عقائدية مختلفة.

المبحث الأول : أدلة التوحيد والأسماء والصفات

إن أعظم قضية تناولها القرآن الكريم هي قضية التوحيد وإثبات الوحدانية للخالق سبحانه وتعالى، وقد ضم المصحف الشريف بين دفتيه مئات الآيات التي تتحدث عن هذه القضية العظيمة ولا غرو في ذلك فالتوحيد هو أساس الرسالات السماوية كلها منذ أن بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، والتقت رسالتهم حول هدف واحد لخصه القرآن الكريم في قوله الحق تبارك وتعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(1):

وقد اتجهت جهود المفسرين إلى العناية بأدلة التوحيد عند تعرضهم لتفسير كتاب الله عز وجل باعتبارها موضوعا هاما من موضوعات التفسير، ولقد أدلى ابن الجوزي -في زاد المسير- بدلوه وغرف من هذا البحر الزاخر، وكلما واتت فرصة تعرض لأدلة التوحيد وعظمة الخالق، ففي تفسيره، لقوله تعالى : ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.. ﴾(2).

يشرح معنى الآيات ثم يقول : (فأما السموات فتدل على صانعها إذ هي قائمة بغير عمد وفيها من الآيات الظاهرة ما يدل يسيره على مبدعه، وكذلك الأرض في ظهور ثمارها، وتمهيد سهولها وإرساء جبالها إلى غير ذلك ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ كل واحد منهما حادث بعد أن لم يكن وزائل بعد أن كان).

﴿ وَمَا أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ ﴾ يعني المطر، والمطر ينزل على معنى واحد وأحزاء الأرض والهواء على معنى واحد والأنواع تختلف في النبات والطعوم والألوان والأشكال المختلفات ، وفي ذلك رد على من قال إنه من فعل الطبيعة، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يتفق موجبها إذ المتفق لا يوجب الإختلاف) (3).

---

(1) الأنبياء:25

(2) البقرة: 163-164

(3) زاد المسير : 168/1

وعند تفسيره قوله تعالى : ﴿ تُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(1)

يقول ابن الجوزي (قال المفسرون : الماء الواحد ماء المطر، والأكل الثمر، بعضه أكبر من بعض وبعضه أفضل من بعض، وبعضه حامض وبعضه حلو إلى غير ذلك. وفي هذا دليل على بطلان على قول الطبائعيين لأنه لو كان حدوث الثمر على طبع الأرض والهواء والماء، وجب أن يتفق ما يحدث لاتفاق ما أوجب الحدوث، فلما وقع الإختلاف، دل على مدبر قادر.)(2)

ويشير إلى دليل التمانع عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾(3)

حيث يقول: (أي لخربتا وبطلتا وهلك من فيهما لوجود التمانع بين الآلهة فلا يجرى أمر العالم على النظام لأن كل أمر صدر على اثنين فصاعدا لم يسلم من الخلاف، فقد أبطل الله عز وجل أن يكون إله سواه من حيث العقل بقوله ﴿ لفسدتا ﴾، وأبطل ذلك من حيث الأمر بقوله ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ﴾. فهذا القرآن وهذه الكتب التي أنزلت قبله فانظروا هل في واحد منها أن الله أمر باتخاد إله سواه.

فبطل بهذا البيان جواز اتخاد معبود غيره من حيث الأمر به)(4).

أسماء الله الحسنى :

أظهر ابن الجوزي في تفسيره (زاد المسير) عناية كبيرة بشرح أسماء الله الحسنى، فقد بين أولا المراد بالأسماء الحسنى عند شرحه لقوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾(5). حيث قال أمّا الحسنى فهي تأنيث الأحسن، ومعنى الآية أن أسماء الله حسنى، وليس المراد أن فيها ما ليس بحسن.(6)

---

(1) الرعد: 4

(2) زاد المسير: 4/

(3) الأنبياء: 22

(4) زاد المسير: 346/5

(5) الأعراف: 180

(6) زاد المسير: 293/3

وأثار مسألة الأسماء الحسنى هلى هي توقيفية أم ى؟ فقد أورد كلام الزجاج في معاني القرآن، فقال :(قال الزجاج ولا ينبغي لأحد أن يدعوه بما لم يسم به نفسه فيقول يا جواد ولا يقول يا سخي، ويقول يا قوي ولا يقول يل جلد، ويقول يا رحيم ولا يقول يل رفيق لأنه لم يصف نفسه بذلك.)[1]

ثم يذكر رأي أبي سليمان الخطابي، فيقول : (قال أبو سليمان الخطابي، ودليل هذه الآية أن الغلط في أسمائه والزيغ فيها إلحاد، ومما يسمع على ألسنة العامة قولهم يا سبحان، يا برهان، وهذا مهجور مستهجن لا قدوة فيه)[2].

وقد أثيرت مسألة التوقيف وعدمه في أسماء الله الحسنى في مباحث علماء العقيدة وجمهورهم على أنها توقيفية. يقول الشهيد حسن البنا : (واعلم أن جمهور المسلمين على أنه لا يصح أن نطلق على الله تبارك وتعالى اسما أو وصفا لم يرد به الشرع بقصد اتخاذ اسما له وإن كان يشعر بالكمال فلا يصح أن نقول مهندس الكون الأعظم، ولا أن نقول : المدير العالم لشؤون الخلق...)[3].

ويقل الشيخ حسن أيوب : (جميع أسماء الله تعال تعتبر صفات لله تعالى إلا اسما واحدا فقط هو الله فإنه علم على الذات وليس بصفة، وهذه الصفات عددها لا يقل عن مائة إلا واحدا، إن قلنا أن أسماء الله (توقيفية)، وهو قول الجمهور وهو الراجح)[4].

أما الأمثلة على عناية ابن الجوزي بأسماء الله الحسنى، فنذكر منها ما يلي:

في قوله تعالى : ﴿ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾

قال القيوم: القائم بتدبير الخلق

وقال الخطابي : القائم الدائم بلا زوال.[5]

---

(1) زاد المسير: 298/3، ومعاني القرآن للزجاج- 133/2

(2) كتاب (أسماء الله الحسنى) للخطاب اعتمد عليه ابن الجوزي كثيرا في شرح أسماء الله الحسنى، ويعد من المصادر المهمة لتفسير ابن الجوزي ولم أقف على هذا الكتاب.

(3) حسن البنا- العقائد. دار الشهاب- ص:21

(4) حسن أيوب- مع الله في أسمائه وصفاته- دارالشهاب- ص:131

(5) زاد المسير: 302/1

وفي قوله تعالى : ﴿ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

يقول ابن الجوزي: العلي: العالي القاهر فعيل بمعنى فاعل، وقال الخطابي وقد يكون من العلو الذي هو مصدر علا يعلو فهو عال، ومعنى العظيم : ذو العظمة والجلال والعظم في حقه تعالى مصروف إلى عظم الشأن وجلال القدر دون العظم الذي هو من نعوت الأجسام.(1)

أما في قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمِ ﴾ (2)

فيقول ابن الجوزي: ذهب الجمهور إلى أنه مشتق من الرحمة ، مبني على المبالغة و معناه ذو الرحمة التي لا نظير لها.

قال الخطابي: الرحمان ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم ومصالحهم، وعمت الكافر والمؤمن .و الرحيم خاص بالمؤمنين.(3)

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (4)

قال ابن الجوازي قال أبو سليمان الخطابي:و المحيط الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه وأحاطت قدرته بجميع خلقه واحاط علمه بالأشياء كلها.(5)

ويشرح معنى الوكيل : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(6)

فيقول: قال الفراء : الوكيل هو الكافي، وقال ابن قتيبة هو الكفيل، قال ووكيل الرجل في ماله هو كفله له وقام به.

وقال الخطابي : الوكيل: الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم(7)

---

(1) زاد المسير: 304/1

(2) الفاتحة: 2

(3) زاد المسير: 9/1

(4) آل عمران :120

(5) زاد المسير: 448/1

(6) آل عمران: 173

(7) زاد المسير: 505/1

كما يشرح معنى الرقيب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[1]

فيقول : قال الخطابي: هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء[2].

وتلك أمثلة سقناها لنبين من خلالها مَدَى عناية ابن الجوزي بشرح أسماء الله الحسنى ومن يتتبع تفسيره، يظهر له ذلك جليا واضحا.

---

(1) النساء: 1

(2) زاد المسير: 4/2

أولا : الصفات النفسية والصفات السلبية وصفات المعاني :

لم يتغرض ابن الجوزي في تفسيره بتفصيل إلى ما أسماه علماء الكلام بالصفات الواجبة في حقه تعالى والتي قسموها إلى صفات نفسية وصفات سلبية وصفات المعاني، وهـي: الوجـود، والقـدم، والبقاء والمخالفة للحوادث، والقيـام بـالنفس، والوحدانيـة، والعلـم، والإرادة، والقـدرة، والحيـاة، والسمع والبصر، والكلام.

بل كا ابن الجوزي في تفسيره يمر عليها مكتفيا بتفسير ما جاء في الآيات القرآنية ويلمسها لمسـا خفيفا من غير إغراق في جدال كلامي أو إيراد لأقوال المتكلمين في موضوع تلك الصافات ولبيان ذلك أسوق أمثلة يتضح بها منهجه في تناول آيات الصفات.

فعن صفتي البقاء والقدم، يكتفي بتفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾(1).

فيقول : هو (الأول) السابق للأشياء (والآخر) الباقي بعد فناء الخلق.(2)

وعن صفة القيام بالنفس يذكر عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخد المضلين عضدا ﴾(3):

أن المعنى ما أشهدت بعضهم خلق بعض، ولا استعنت ببعضهم على إيجاد بعض.(4)

ويشير إشارة خفيفة إلى صفتي العلم والقدرة عند تفسير قوله تعالى : ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾(5)

فيقول المعنى : أعلمكم بهذا لتعلموا قدرته على كل شيء، وعلمه بكل شيء.(6)

---

(1) الحديد :3

(2) زاد المسير: 161/8

(3) الكهف: 51

(4) زاد المسير: 155/5

(5) الطلاق: 12

(6) زاد المسير: 7/

وكذا عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾(1)

يقول: وهذا مكان يدل على القدرة غير أنه ذكر اللكم فلم يعجل لهم العقوبة.(2)

وجاءت الإشارة إلى صفتي السمع والبصر عند شرحه لقوله تعالى : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾(3)

إذ يقول : معكما بالنصرة والعون أسمع أقوالكم، وأرى أفعالكم واسمع جوابه لكما، وأرى ما يفعل بكما.(4)

وتعرض ابن الجوزي لصفة الكلام وأثبتها وذلك عند تفسيره لقوله الله عز وجل : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾(5).

حيث قال : تأكيد كلم بالمصدر يدل أنه سمع الله حقيقة، روى أبو سليمان الدمشقي قال سمعت إسماعيل بن محمد الصفار، يقول : سمعت ثعلبا يقول لولا أن الله أكد الفعل بالمصدر لجاز أن يكون كما يقول أحدنا للآخر قد كلمت لك فلانا بمعنى كتب إليه رقعة أو بعث إليه رسولا، فلما قال: تكليما لم يكن إلا كلاما مسموعا من الله.(6)

وتعرض ابن الجوزي إلى صفة الإرادة عند تفسير سورة قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾(7)

فقال : الخلق له يحل ما شاء لمن يشاء، ويحرم ما يريد لمن يريد.

---

(1) فاطر: 41

(2) زاد المسير: 496/6

(3) طه: 46

(4) زاد المسير: 290/5

(5) النساء: 164

(6) زاد المسير: 656/2

(7) المائدة :1

وقال في تفسير قوله تعال: ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ﴾[1]

المعنى : إذا أراد بهم بلاء أو عذابا فلا يرده شيء ولا تنفعه المعقبات، وتعرض إلى الفرق بين الإرادة والرضا، فقال عند شرحه لقوله تعالى : ﴿ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾[2]

فقال فيه قولان:

أحدهما : لا يرضاه للمؤمنين

والثاني : لا يرضاه لأحد وإن وقع بإرادته وفرق بين الإرادة والرضا.[3]

وناقش المعتزلة ورد عليهم في هذا الأمر عن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[4]

فقال : قال ابن عباس: المعنى: لا يرضى بالمعاصي، ثم قال: وقد احتجت المعتزلة بهذه الآية فأجاب أصحابنا بأجوبة :

منها : أنه لا يحبه دينا ولا يرضاه شرعا، فأما أنه لا يريده وجودا فلا

والثاني أنه لا يحبه للمؤمنين دون الكافرين

والثالث أن الإرادة غير المحبة، فالإنسان قد يتناول المر، ولا يحب شيئا في ذلك.

وإذا بان في المعقول الفرق بين الإرادة والمحبة بطل إدّعاؤهم التساوي بينهما.[5]

وموضع الخلاف هنا أن المعتزلة يزعمون أن الله لم يخلق الكفر والمعاصي وأن الله سبحانه وتعالى لم يردهما، وقد ذكر ذلك الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين) حيث قال: (أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الكفر والمعاصي ولا شيئا من أفعال غيره.)[6]

---

(1) زاد المسير: 312/4

(2) الزمر: 7

(3) زاد المسر: 163/7

(4) البقرة: 205

(5) زاد المسير: 222/1

(6) الأشعري- مقالات الإسلاميين- ص:273-ط:2- 1985م. تحقيق محمد محي الدين عبد المحيد

وقال في نفس الكتاب (أجمعت المعتزلة أن الله سبحانه وتعالى لم يرد المعاصي إلا المردار فإنه حكي عنه أن الله أرادها بأن خلى بين العباد وبينها.)[1]

وقد ناقش الإمام أبو الحسن الأشعري أقوالهم في هذا الموضوع ورد عليها في كتابه الإبانة في أصول الديانة.[2]

---

(1) نفس المرجع السابق: 273/1

(2) انظر كتاب: الإبانة في أصول الديانة- للأشعري- ص:73-80- ط:1-1991- دار القادري

وردت في القرآن الكريم آيات، وفي السنة المطهرة أحاديث توهم بظاهرها مشابهة الحق تبارك وتعالى لخلقه في بعض صفاتهم، واختلف مواقف الناس من هذه الصفات، وقد لخص الإمام حسن البنا في كتابه (العقائد) اختلاف الناس في هذا الموضوع، وقد رأيت أن أقتبس منه لنفاسته وإختصاره.

قال -رحمة الله عليه -

(وردت في القرآن الكريم آيات وفي السنة المطهرة أحاديث توهم بظاهرها مشابهة الحق تبارك وتعالى لخلقه في بعض صفاتهم، نورد بعضها على سبيل المثال ثم نقفي بذكر ما ورد فيها من الأقوال والله نسأل أن يوفقنا إلى بيان وجه الصواب في هذه المسألة، التي طال فيها جدال الناس ونقاشهم إلى هذا العصر وأن يجنبنا الزلل وهو حسبنا ونعم الوكيل).

ثم قال بعد أن أورد نماذج من آيات الصفات وآحاديثها.

انقسم الناس في هذه المسألة على أربع فرق :

1- فرقة أخذت بظواهرها كما هي فنسبت إلى الله وجها كوجوه الخلق ويدا كأيديهم وضحكا كضحكهم، وهؤلاء المجسمة والمشبهة وليسوا من الإسلام في شيئ.

2- فرقة عطلت معاني هذه الألفاظ على أي وجه يقصدون بذلك نفي مدلولها مطلقا على الله تبارك وتعالى، فالله عندهم لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر، لأن ذلك لا يكون إلا بجارحة يجب أن تنفى عنه سبحانه وهؤلاء هم المعطلة.

هذا رأيان باطلان لاحظ لهما من النظر وبقي أمامنا رأيان هما محل أنظار العلماء وهما رأي السلف ورأي الخلف.

3- مذهب السلف:

أما السلف رضوان الله عليهم فقالوا نؤمن بهذه الآيات والأحاديث كما وردت، ونترك المقصود منها لله تبارك وتعالى فهم يثبتون لله اليد والعين والإستواء والضحك والتعجب... وكل ذلك بمعان لا ندركها ونترك لله تبارك وتعالى الإحاطة بعلمها.

وهذا منكر عند اللغويين، قال ابن الإعرابي: العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى، فقالوا وإنما يقال استولى فلان على كذا إذا كان بعيدا عنه غير متمكن منه، ثم تمكن منه، والله عز وجل لم يزل مستوليا على الأشياء، والبيتان لا يعرف قائلهما، ولوصحا فلا حجة فيهما من استيلاء من لم يكن مستوليا، نعود بالله من تعطيل الملحدة، وتشبيه المجسمة.)[1]

وما ذكره ابن الجوزي من إثبات الإستواء، وموقف السلف في أكتفائهم بقراءة الآية تشهد له كثير من أقوال أئمة السلف في مولفاتهم، فقد نقل عن الإمام أحمد -رضي الله عنه- في العقيدة أنه كان يقول : (نحن نجزم بأن الله عز وجل على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف، أو يحدها حاد، وكان ينكر على من يقول إن الله في كل مكان بذاته لأن الأمكنة كلها محدودة.)[2]

وجاء عن الإمام الأشعري أنه قال : (إن قال قائل ما تقولون في الإستواء ؟ قيل له : نقول إن الله عز وجل مستو على عرشه استواء يليق به كما قال ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[3]، وقد قال: عز وجل ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾[4]، وقال عز وجل ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[5]، وقال عز وجل ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾[6]. فالسموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السموات قال: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات.)[7]

وقد عقد الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسير فصلا قيما أورد فيه أقوال العلماء في مسألة الإستواء يستحسن الرجوع إليه[8] ففيه درر نفيسة من كلام السلف.

---

(1) زاد المسير: 213/3

(2) الإمام أحمد بن حنبل- العقيدة: 47

(3) طه: 5

(4) فاطر: 10

(5) السجدة: 5

(6) الملك: 16

(7) الأشعري: الإبانة في أصول الديانة- ص: 55

(8) القاسمي- محاسن التأويل: 5/100-140- دار الفكر- ط:2- 1978

صـــفـــة الوجه، والـيد والعين :

جنح ابن الجوازي إلى التأويل في هذه الصفات فقد قال عند تفسير قوله ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ (1) فيه قولان :

أحدهما : فثم الله يريد علمه معكم أين كنتم وهو قول ابن عباس، ومقاتل

والثاني : فثـم قبلة الله، قاله عكرمة ومجاهد(2)

وقال في قوله ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾(3)

فيه قولان:

أحدهما : ما أريد به وجهه. رواه عطاء عن ابن عباس

والثاني : إلا هو. قاله الضحاك وأبو عبيدة.(4)

وقال في صفة (اليد) عند تفسيره قوله تعالى:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾(5)

قال الزجاج : وقد ذهب قوم إلى أن معنى يد الله نعمته، وهذا خطأ ينقضه ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فيكون المعنى على قولهم : نعمتاه، ونعم الله أكثر من أن تحصى والمراد بقوله : بل يداه مبسوطتان أنه جواد ينفق كيف يشاء.(6)

أما في صفة العين، فقد قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾(7)، وفي قوله تعالى (بأعيننا) ثلاثة أقوال :

أحدها: بمرئ منا. قاله ابن عباس

والثاني: بحفظنا. قاله الربيع

---

(1) البقرة: 115

(2) زاد المسير: 135/1

(3) القصص: 88

(4) زاد المسير: 252/6

(5) المائدة: 64

(6) زاد المسير: 393/2

(7) هود: 37

والثالث: بعلمنا. قاله مقاتل.[1]

فابن الجوزي في موقفه من تلك الصفات مخالف لما ورد عن السلف من إثبات تلك الصفات من غير بحث في الكيف، فهذا الأشعري في (الإبانة) يقول : فمن سألنا فقال : أتقولون إن لله سبحانه وتعالى وجها ؟ قيل له : نقول ذلك خلافا لما يقوله المبتدعون، وقل دل على ذلك قوله عز وجل ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[2]، فإن سئلنا أتقولون إن لله يدين ؟ قيل نقول ذلك بلا كيف وقد دل عليه قوله عز وجل ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[3]).

وقال: (قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[4]، فأخبر سبحانه أن له وجها لايفنى ولا يلحقه هلاك.

وقال عو وجل ﴿ تجري بأعيننا ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[6]، فأخبر عز وجل أن له وجها وعينا لا يكيف ولا يحد)[7].

ونقل عن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه قال في صفة الوجه (أن للّه عز وجل وجها لا كالصور المصورة والأعيان المخططة بل وجه وصفه بقوله ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ومن غير معناه فقد ألحد عنه)[8].

وقال في صفة اليد (إن لله تعالى يدين وهما صفة له في ذاته ليستا بجارحتين وليستا بمركبتين ولاجسم، ولا يقاس على ذلك مرفق ولا عضد ويفسد أن تكون يده القوة والنعمة والتفضل)[9].

---

(1) زاد المسير: 101/3

(2) الرحمان: 27

(3) الفتح :10

(4) القصص: 88

(5) القمر: 14

(6) هود: 37

(7) الأشعري- الإبانة:60

(8) الإمام أحمد- العقيدة: 103

(9) العقيدة: 104

صـفة المـجيء والإتـيان :

تطرق ابن الجوزي إلى صفة المجيء عند قول الله تبارك وتعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾(1).

ونقل عن السلف أنهم كانوا يمسكون عن الكلام في مثل هـذه الصفـات غـير أنـه راح بعـد ذلـك ينقل كلاما للقاضي أبي يعلى مفاده تأويل صفة المجيء، حيث قال : (وذكـر القـاضي أبـو يعلـى عن أحمد أنه قال المراد به قدرته وأمره، قال: وقد بينه في قوله تعالى أو يأتي امر ربك)(2)

وإذا كان هذا النص يفيد أن الإمام أحمد -رضي الله عنه- قال بالتأويل في بعض الصفات فـإن بعض العلماء ينكر ذلك تماما ويذهب إلى أنه لم يصح عن الإمام أحمد شيء في التأويل.(3)

وجاء في كتاب (العقيدة) للإمام أحمد :

(من المعروف عن مذهب احمد بن حنبل انه مذهب نصي يتمسك بظاهر مـا ورد بـه السـمع مـن غير تأويل ولا صرف عن الظاهر، وخاصة في آيات الصفات، لكن أصحابه اختلفوا في النقل عنـه حول هذا الموضوع بالذات فمنهم من يقول : إن ابن حنبـل قـد تـأول بمجـيء اللـه يـوم القيامـة أن الجائي أمره، ذكر ذلك ابن الزاغوني من اتباع أحمد، ومنهم من قال أن أحمد لـم يؤول ومـا روى عنه في ذلك فهو غلط عليه.)(4)

وتعرض ابن الجوزي لصفة المجيء في موضع آخر عند تفسير قولـه تعـالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾(5). وجنح فيها إلى التأويل حيث قال في التفسير :

---

(1) البقرة: 210

(2) زاد المسير: 225/1

(3) المفسرون بين التأويل والإثبات: 41

(4) العقيدة: 32

(5) الأنعام: 158

قال الحسن : أو يأتي أمر ربك، وقال الزجاج : أو يأتي إهلاكه وانتقامه إما بعذاب عاجل أو بالقيامة(1).

ومعلوم أن مذهب السلف في هذه الصفة وغيرها من الصفات الخبرية الإثبات من غير تأويل أو بحث في الكيفية. جاء في كتاب (الإبانة) :

(ونقول : إن الله عز وجل يجيء يوم القيامة كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾(2))(3).

---

(1) زاد المسير: 156/3

(2) الفجر: 22

(3) الأشعري- الإبانة: 28

قـــضـــية رؤيـــة الله عـــز وجل في الـــقيامة:

من أهم القضايا العقائدية التي تعرض لها ابن الجوزي في تفسيره، قضية رؤية الله عـز وجـل في الآخرة، وقد ظهر ابن الجوزي في هذه المسألة مثبتا منتصرا لها بحماسة وقوة، ففي قوله تعالى :﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾(1)

يقول : في الإدراك قولان :

أحدهما : أنه بمعنى الإحاطة، والثاني بمعنى الرؤية

وفي الأبصار قولان :

أحدهما : أنها العيون، قاله الجمهور

والثاني : أنها العقول.

ففي معنى الآية ثلاثة أقوال :

أحدها : لا تحيط به الأبصار، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن المسيب وعطاء.

وقال الزجاج: معنى الآية الإحاط بحقيقته، وليس دفع للرؤية، وهـذا مذهـب أهـل السـنة والعلـم والحديث.

والثاني : لا تدركه الأبصار إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثالث: لا تدركه الأبصار في الدنيا، رواه أبو صالخ عن ابن عباس.

ثم قال ابن الجوزي بعد أن أورد هذه الأقوال في معنى الإدراك والأبصـار ومعنـى الآيـة: ويـدل على أن الآية مخصوصة بالدنيا قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(2)، فقيد النظر إليـه بالقيامة وأطلق في هذه الآية، والمطلق يحمل على المقيد.(3)

هذا خلاصة كلام ابن الجوزي في معنى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، وأما كلام الزجـاج في معـاني القرآن): (فأما ما جاء من الأخبار في الرؤية، وصح عن رسول الله– صلى الله عليه وسـلم–فغير

---

(1) الأنعام: 103

(2) القيامة: 22-23

(3) زاد المسير: 3/98-99

مدفوع، وليس في هذه الآية دليل دفعه، لأن معنى هذه الآية، معنى إدراك الشيء والإحاطة بحقيقته، وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث.)[1]

وأكد ابن الجوزي موقفه في إثبات الرؤية بشدة عندما تعرض لتفسير قول الله تعالى : ﴿ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾[2]

فقد قال ما خلاصته :

تعلق بهذا نفاة الرؤية وقالوا(لن)لنفي التأبيد، وذلك غلط لأنها وردت وليس المراد بها الأبد في قوله ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾[3]، ثم أخبر عنهم بتمنيهم في النار، بقوله ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾[4]، ولأن ابن عباس قال لن تراني في الدنيا.

وفي هذه الآية دلالة عن جواز الرؤية؛لأن موسى مع علمه بالله تعالى سألها، ولو كانت مما يستحيل لما جاز لموسى أن يسألها ولا يجوز أن يسال موسى مثل ذلك لأن معرفة الأنبياء بالله ليس فيها نقص، ولأن الله لم ينكر عليه المسألة وإنما منعه للرؤية.

ومما يدل على جواز الرؤية أنه علقها على استقرار الجبل،وذلك جائز غير مستحيل فدل على أنها جائزة، ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحال علقه على مستحيل، فقال : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾[5].

ويتمسك ابن الجوزي بموقفه في الرؤية في موضع آخر عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[6]، إذ يذكر أن معنى الزيادة المذكورة في الآية هو النظر إلى الله عز وجل، ويستدل بما رواه مسلم في صحيحه من حديث صهيب عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل).[7]

---

(1) الزجاج- معاني القرآن-306/2

(2) الأعراف: 143

(3) البقرة: 257

(4) الزخرف: 77

(5) الأعراف: 40

(6) يونس: 27

(7) زاد المسير: 24/4

ويمكننا تلخيص أدلة ابن الجوزي في إثبات الرؤية فيما يلي :

1- إن الرؤية المنفية في قوله تعالى ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** ﴾ مخصوصة بالدنيا.

2- إن (لن) في قوله تعالى ﴿ **لن تراني** ﴾ لا تفيد التأبيد.

3- إن ابن عباس -رضي الله عنه- ذهب إلى أن المعنى المقصود لن تراني في الدنيا.

4- سؤال موسى ربه الرؤية دليل جوازها ولو كانت مما يستحيل ما سألها موسى.

5- إن الله عز وجل لم ينكر عن موسى المسألة وإنما منعه الرؤية.

6- إن تعليق الرؤية على إستقرار الجبل تعليق على جائز غير مستحيل.

7- استشهاده بالحديث الشريف في تفسير الزيادة المذكروة في الآية بالنظر إلى وجه الله عز وجل.

ومعلوم أن رؤية الله عز وجل مجمع على وقوعها عند أهل السنة وأدلتهم في ذلك مبسوطة في كتب العقائد والتفسير.

جاء في كتاب العقيدة للإمام أحمد ﴿ **وأن أهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم لا محالة** ﴾[1]. وجاء فيه أيضا ﴿ **وينظر إلى وجهه أهل الجنة، يرونه فبكرمهم، ويتجلى لهم فيعطيهم** ﴾[2]

وقد تعرض الأشعري في (الإبانة) وبسط القول في قضية الرؤية وساق الحجج والأدلة على وقوعها ورد أقوال المعتزلة بما يبطلها ولا يسع المقام لذكر ذلك هنا.[3]

---

(1) الإمام أحمد- العقيدة: 63

(2) المرجع السابق: 79

(3) الإبانة في أصول الديانة: 30-38

المبحث الثاني

مسائل النبوة والأنبياء

المبحث الثاني :

قضايا تتعلق بالنبوة والأنبياء

تعرض ابن الجوزي في تفسيره إلى بعض المسائل المتعلقة بالنبوة والأنبياء دون أن يفيض فيها كثيرا. فقد أشار إلى أن النبوة اصطفاء واجتباء من الله تعالى لبعض عباده وليست تنال بحيلة محتال وليس بأيدي البشر مفاتيحها، قال عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾(1) المعنى : أنهم ليسوا لها بأهل، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا، فنزل قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾.

وقال أهل المعاني : الأبلغ في تصديق الرسل ألا يكونوا قبل بعثهم مطاعين في قومهم لأن الطعن كان يتوجه عليهم فيقال إنما كانوا رؤوسا فاتبعوا فكان الله أعلم حيث جعل الرسالة ليتيم أبي طالب دون أكابر مكة.(2)

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾ يعني النبوة فيضعونها حيث شاءوا ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾(3)، المعنى أنه إذا كانت الأرزاق بقدر الله لا بحول محتال وهو دون النبوة فكيف تكون النبوة ؟(4)

وتعرض ابن الجوزي إلى قضية بشرية الرسل وما أثاره المشركون حولها من جدال عقيم فقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾(5): أنكروا أن يكون الرسول بشرا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق كما يمشي سائر الناس، يطلب المعيشة.

---

(1) الأنعام- 124

(2) زاد المسير: 118/3

(3) الزخرف: 32

(4) زاد المسير: 312/7

(5) الفرقان: 7

والمعنى أنه ليس بملك ولا ملك، لأن الملائكة لا تأكل، والملوك لا تتبذل في الأسواق فعجبوا أن يكون مساويا للبشر عليهم، وإنما جعله بشرا ليكون مجانسا للذين أرسل إليهم.

ولم يجعله ملكا يمتنع من المشي في الأسواق لأن ذلك من فعل الجبابرة ولأنه أمر بدعائهم فاحتاج أن يمشي بينهم.(1)

وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾(2).

المراد من الكلام أن رسول كل جنس ينبغي أن يكون منهم.(3)

وتعرض ابن الجوزي إلى مسألة عصمة الأنبياء ورد على ما يثار حول بعضهم من أباطيل، فقد قال بعد أن ذكر أخبار القصاص في شأن داود عليه السلام وإعجابه بامرأة القائد وإرساله للحرب ليموت، قال: (وهذا لا يصح من طريق النقل، ولا يجوز من حيث المعنى لأن الأنبياء منزهون عنه.)(4)

وأكد مرة أخرى، فقال : (فأما ما روي أنه نظر إلى المرأة فهويها وقدم زوجها للقتل فإنه وجه لا يجوز على الأنبياء لأن الأنبياء لا يأتون المعاصي مع العلم بها.)(5)

وفي التعليق على قصة الغرانيق، قال: (قال العلماء المحققون وهذا لا يصح لأن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- معصوم عن مثل هذا)(6).

ودافع عن عصمة يوسف -عليه السلام- عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾(7)

---

(1) زاد المسير: 74/6

(2) الإسراء: 95

(3) زاد المسير: 81/5

(4) المرجع السابق: 115/7

(5) المرجع السابق: 117/7

(6) المرجع السابق: 441/5

(7) يوسف: 24

وقال ما نصه: (وحجة الله عليه هي البرهان المذكور وما تقدمه من الأقوال ليس بشيء وإنما هي أحاديث من أعمال القصاص وكيف يظن بنبي الله الكريم أن يخوف ويرعب ويضطر إلى ترك المعصية وهو مصر، هذا غاية القبح)[1]

كما نزه نبينا محمدا – صلى الله عليه وسلم– عن الإشاعات والأباطيل التي روجتها بعض الكتب في شأن زواجه من زينب ووقوعه في حبها حيث قال : (وقد ذهب بعض العلماء إلى تنزيه رسول الله عن حبها، وإن كان ذلك شائعا في التفسير)[2].

وتعرض إلى إثبات نبوة سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– عند تفسير لقوله تعالى ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾[3]، فقال: وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ أعظم دلالة على نبوة نبينا – صلى الله عليه وسلم– لأنه أخبر أنهم لا يفعلون ولم يفعلوا.)[4]

وقال عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[5] :

(وفي هذا احتجاج على صحة نبوة نبينا لأنه لم يشاهد تلك القصة ولا كان يقرأ الكتاب وقد أخبر عنها بهذا الكلام المعجز، فدل على أنه أخبر بوحي.)[6]

أما عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[7]

---

(1) زاد المسير: 24

(2) المرجع السابق: 388/6

(3) البقرة: 24

(4) زاد المسير: 51/1

(5) يوسف: 104

(6) زاد المسير: 293/4

(7) القصص: 44

المبحث الثالث

قضايا عقائدية مختلفة

فقد قال : (وفي هذا بيان لصحة نبوة نبينا -صلى الله عليه وسلم- لأنهم يعلمون أنه لم يقرأ الكتب، ولم يشاهد ما جرى، فلولا أنه أوحى إليه ذلك ما علم.)[1]

وقد قام ابن الجوزي من خلال تلك النصوص أدلة إثبات نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- على أمرين :

الأول : إعجاز القرآن حيث تحداهم الله عز وجل أن يأتوا بمثله وأخبر أنهم لن يفعلوا فلم يفعلوا.

والثاني: الأخبار والقصص الغابرة وأنباء الرسل التي قصها القرآن على نبي أمي لم يقرأ ولم يكتب،ولم يسافر في البلاد ولم يشهد تلك الأحداث.

---

(1) زاد المسير: 225/6

المبحث الثالث

قضايا عقائدية مختلفة

إضافة إلى قضايا التوحيد والأسماء والصفات ومسائل النبوة، ورد في كتاب (زاد المسير) إشارات إلى قضايا عقائدية أخرى، جاءت في ثنايا التفسير، أذكر منها :

خلق أفعال العباد :

ذهب ابن الجوزي في هذه المسألة مذهب أهل السنة حيث قال بخلق أفعال العباد واتضح موقفه من ذلك عند تفسيره لقول الله عز وجل ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(1)

حيث قال: وفي (ما) قولان :

أحدهما : أن تكون بمعنى المصدر فيكون المعنى والله خلقكم وعملكم.

والثاني : أن تكون بمعنى الذي فيكون المعنى والله خلقكم وخلق الذي تعلمونه بأيديكم من الأصنام، ثم قال ابن الجوزي، وفي الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة(2).

ورد ابن الجوزي على المعتزلة في زعمهم أن الله لم يرد الكفر والمعاصي وأن ذلك لا يليق به وهو عندهم من العدل.

فقال ابن الجوزي عند، شرحه لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾(3)، احتجت المعتزلة بهذه الآية فأجاب أصحابنا بأجوبة منها:

1- أنه لا يحبه دينا ولا يريده شلرعا، فأما أنه لا يريده وجودا آفلا.

2- والثاني: أنه لا يحبه للمؤمنين دون الكافرين.

3- والثالث: أن الإرادة غير المحبة، فالإنسان قد يتناول المر ويريد بط الجرح وهو لا يحب شيئا من ذلك وإذ بان في المعقول الفرق بين الإرادة والمحبة بطل ادعاؤهم التساوي بينهما.(4)

---

(1) الصافات: 96

(2) زاد المسير: 70/7

(3) البقرة: 205

(4) زاد المسير: 222/1

وأكد هذا المعنى عند تفسيره لقول الله عز وجل ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾(1)

فقال فيه قولان:

أحدهما : لا يرضاه للمؤمنين، قاله ابن عباس

والثاني: لا يرضاه لأحد وإن وقع بإرادته وفرق بين الإرادة والرضا(2).

ومعلوم أن أهل السنة يقولون بخلق أفعال العباد خلافا للمعتزلة، جاء في كتاب الإبانة (وأنه لا خالق إلا الله وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة له كما قال سبحانه ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(3)).

وجاء في كتاب العقيدة للإمام أحمد برواية أبي بكر الخلال :

(وكان -أي الإمام أحمد- يذهب إلى أن أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل ولا يجوز أن يخرج شيء من أفعالهم عن خلقه لقوله عز وجل ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(4). وجاء في نفس الكتاب (وروي عن علي أبي طالب -رضي الله عنه- أنه سئل عن أعمال الخلق التي يستوجبون بها السخط والرضا؟ فقال: هي العباد فعلا، ومن الله تعالى خلقا، لا تسأل عن هذا أحدا بعدي.)(5)

---

(1) الزمر: 8

(2) زاد المسير: 163/7

(3) الصافات: 96

(4) العقيدة: 113

(5) المرجع السابق: 114

مـفـهـوم الإيمان وزيادته ونقصانه :

وهي من المسائل التي وردت الإشارة إليها في تفسير ابن الجوزي، وذهب فيهـا إلى أن الإيمـان: قول وعمل وأن الإيمان والعمل الصالح متلازمان، قال عند تفسيره لقول الله عـز وجـل : ﴿ **ومـن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن. فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فتيلا**﴾[1] (وهذه تدل على إرتباط الإيمان بالعمل الصالح فلا يقبل أحدهما إلا بوجود الآخر)[2].

ورد بقول الزجاج : زعم المرجئة الذين يزعمون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، فقال عنـد تفسيره قول الله تعالى ﴿ **لا يصلاها إلا الأشقى**﴾[3]، قال الزجاج :

وهذه الآية زعم من أجلها أهل الإرجاء أنه لا يدخل النار إلا كافر، وليس الأمر كما ظنـوا، هـذه نار مخصوصة بعينها، ولأهل النار منازل، فلو كان كـل مـن لا يشـرك لا يعـذب لم يكـن في قولـه تعالى : ﴿ **ويغفر مادون ذلك لمن يشاء**﴾ فائدة وكان ﴿ **يغفر ما دون ذلك**﴾ لا معنى له.[4]

وأشار إلى زيادة الإيمان عند تفسير قوله تعالى ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة فمنهم مـن يقـول أيكـم زادته هذه إيمانا**﴾[5]، فقال : ﴿ **فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا** ﴾، لأنهم إذا صدقوا بها وعملـوا بما فيها زادتهم إيمانا.[6]

ويعتبر ابن الجوزي في هذه المسألة متبعا لإمامه أحمد بن حنبل –رضي الله عنه– فقد كان هذا الأخير يرى أن الإيمان قول وعمل، يزيـد وينقـص، والـبر كلـه مـن الإيمـان والمعـاصي تنقـص مـن الإيمان، وقد نقل ذلك ابن الجوزي في كتاب المناقب.[7]

---

(1) النساء: 124

(2) زاد المسير: 211/2

(3) الليل: 15

(4) زاد المسير: 152/9

(5) التوبة: 124

(6) زاد المسير: 519/3

(7) مناقب الإمام أحمد :153

وجاء في كتاب العقيدة:

(والإيمان قول وعما، يزيد وينقص، زيادته إذا أحسنت، ونقصانه إذا أساءت).[1]

---

(1) العقيدة: 61

مـصـيـر من مات على كـبيرة دون الشـرك:

أثار ابن الجوزي هذه المسألة عندما تعرض لتفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[1]، حيث قال:

والمراد من الآية لا يغفر لمشـرك مـات علـى شـركه، وفي قولـه ﴿ لمـن يشـاء﴾ نعمـة عظيمـة مـن وجهين:

أحدهما : أن الآية تقتضي أن كل ميت على ذنب دون الشرك لا يقطع عليـه بـالعذاب وإن مـات مصرا.

والثاني : أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين وهو أن يكونوا على خوف وطمع.[2]

والذي عليه ابن الجوزي في هذه المسألة هو مذهب أهل السنة فقد قال الإمام أحمد –رضي الله عنه– :(ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها)[3].

وهو مخالف لما عليه المعتزلة وأهل القدر كما نص عليه الأشعري في الإبانة، حيث قـال :(وقنطـوا الناس من رحمة الله وآيسوهم من روحه، وحكموا على العصاة بالنار والخلـود فيهـا خلافـا لقـول الله عز وجل ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾)[4].

مـسـألة خـلق القرآن :

لم يفت ابن الجوزي –في تفسيره– أن يشير إلى قضية وقع حولها جـدال كثـير بـين العلمـاء في العصر العباسي وهي مسألة القرآن كلام الله هل هو مخلوق أم غير مخلوق ؟

وقد كان ظهور تلك القضية في عهد الخليفـة المـأمون ومـن جـاء بعـده مـن الخلفـاء (المعتصـم، والواثق، والمتوكل).

---

(1) النساء: 48

(2) زاد المسير: 104/2

(3) العقيدة: 75

(4) الإبانة: 23

وامتحن فيها جمع غفير من علماء الإسلام، كان في مقدمتهم أحمد بن حنبل الذي أبدى صلابة في الحق لا نظير لها، ولم ترغمه السياط ولا ألوان النكال وظلمات السجون على القول ببدعة خلق القرآن.

أشار ابن الجوزي إلى تلك المسألة وتبنى فيها رأي علماء السنة في أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

فعند تفسيره لقول الله عز وجل ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(1)، يقول :

(وقد استدل أصحابنا على قدم القرآن بقوله ﴿ كن﴾ فقالوا لو كانت ﴿كن﴾ مخلوقة لافتقرت إلى إيجادها بمثلها وتسلسل ذلك، والمتسلسل محال).(2)

وقال عند تفسيره تعالى ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾(3)، روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس، قال : غير مخلوق وقال غيره: مستقيم غير مختلف(4). وهذه الرواية عن إبن عباس في تفسيره (غير ذي عوج) بأنه غير مخلوق وردت أيضا في كتاب العقيدة للإمام أحمد إذ قال:: ((وحكي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما فسرا قوله عو زجل ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ قالا: غير مخلوق)(5).

وقد بسط الأشعري القول في هذه المسألة في كتابه (الإبانة) ورد على من خالف، وأحسب أن ابن الجوزي نقل كلامه السابق في التعليق على قوله تعالى : ﴿ كن فيكون﴾ من الأشعري، وهذا نص كلام الأشعري في الإبانة: (ومما يدل من كتاب الله عز وجل على أن كلامه غير مخلوق قوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(6). فلو كان القرآن

---

(1) البقرة: 117

(2) زاد المسير: 136/1

(3) الزمر: 29

(4) زاد المسير: 179/7

(5) العقيدة: 107

(6) النحل :40

مخلوقا لوجب أن يكون مقولا له : كن فيكون، ولو كان الله عز وجل قائلا للقـول كـن ، لكـان للقول قولا، وهذا يوجب أحد أمرين:

إما أن يؤول الأمر إلى أن قول الله غير مخلوق.

أو يكون كل قول واقعا بقول لا إلى غاية، وذلك محال.

و إذا استحال ذلك صح وثبت أن للّه عز وجل قولا غير مخلوق.)[1].

---

(1) الإبانة في أصول الديانة: 39

الـــفـــصل الـــرابـــع

منـــهج ابن الـــجوزي في تنـــاول آيـــات القـــصص ومـــوقفـــه من الإســـــرائيلـــــات

المبحث الأول

منهجه في تناول آيات القصص

في القرآن الكريم هو العبرة والموعظة فتعاملوا مع القصة كما وردت في القرآن الكريم من غير أن يحملوا أنفسهم عناء جمع الروايات التي تمتلئ بها كتب الإخباريين والقصاص مكتفين بما ثبتت صحته.

فكيف كان شأن ابن الجوزي في تفسيره مع القصص القرآني ؟

إن القارئ لتفسير ابن الجوزي يتبين له أنه لم يكن من المسرفين في ذكر الأخبار والروايات المتعلقة بقصص القرآن، بل كان أميل إلى الإيجاز والإختصار، وهو ما توخاه في كتابه (زاد المسير)، وكان يشير إلى ذلك مرات عديدة في كتابه، مثل ما فعل عقب تفسير الآيات المتعلقة بحادثة الإفك إذ قال:(وقد ذكرنا حديث الإفك في كتاب الحدائق فلم نطل بذكره لأن غرضا اختصار الكتاب ليحفظ.)(1)

ويظهر أن ابن الجوزي لم يكن يرتضي طريقة القصاص والإخباريين في ذكرهم الغث والسمين، والصحيح والسقيم من الأخبار من غير تمحيص وتنقية، ونفهم ذلك من تعليقه على الأقوال التي جاءت في شأن يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، فقد أورد جملة منها ثم حمل عليها قائلا :(وإنما هي أحاديث من أعمال القصاص، وقد أشرت إلى فسادها في كتاب المغني في التفسير)(2).

ونظر ابن الجوزي إلى القصة القرآنية على أنها مسوقة للعظة، وأنها دليل من دلائل صحة نبوة محمد –صلى اللع عليه وسلم– وإعجاز القرآن، فقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾(3) :

(أي: في خبر يوسف وإخوته عظة (لأولى الألباب) أي لذوي العقول السليمة، وذلك من وجهين:

أحدهما : ما جرى ليوسف من إعزازه وتمليكه بعد استعباده، فإن من فعل ذلك به، قادر على إعزاز محمد –صلى الله عليه وسلم– وتعلية كلمته.

---

(1) زاد المسير: 17/6

(2) المرجع السابق: 209/4

(3) يوسف :112

والـثاني :أن من تفكر، علم أن محمدا -صلى الله عليه وسلم- مع كونه أميا لم يأت بهذه القصة على موافقته ما في التوراة من قبل نفسه فاستدل بذلك على صحة نبوته.)[1].

أما طريقته في إيراد القصة فإنه يعقد لها فصلا خاصا بعنوان :(الإشارة إلى القصة) أو (الإشارة إلى قصتهم..) أو (ذكر العلماء بالتفسير والسير)، (ذكر العلماء..)، ويذكر أحيانا راوي القصة كما فعل في قصة عزير عند تفسير قوله تعالى ﴿ **فأماته الله مائة عام ثم بعثه**﴾[2]، إذ قال :

(روى ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه...)[3]، وكما فعل في ذكر قصة الذين اتخذوا العجل عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون** ﴾[4]، إذ قال، روى السدي عن أشياخه...)[5].

وبعد ذلك يذكر خبر القصة وغالبا ما تكون بإيجاز واختصار.

---

(1) زاد المسير: 297/4

(2) البقرة : 259

(3) زاد المسير: 309/1

(4) البقرة: 51

(5) زاد المسير: 80/1

وهـذا نـموذج لطريقته في عرض القصـــة :

قـــصة إبـتـــلاء أيـــوب -عليه السلام-

قال ابن الجوزي :

ذكر أهل التفسير أن أيوب عليه السلام كان أغنى أهل زمانه، وكان كثير الإحسان. فقال إبليس: يا رب سلطني على ماله وولده وكان له -ثلاثة عشر ولدا- فإن فعلت رأيت كيف يطيعني ويعصيك، فقيل له قد سلطتك على ماله وولده، فرجع إبليس فجمع شياطنه ومردته، فبعث بعضهم إلى دوابه ورعاته فاحتملوها حتى قدفوها في البحر، وجاء إبليس في صورة قيمه فقال يا أيوب ألا أراك تصلي وقد أقبلت ريح عاصف فاحتملت دوابك ورعاتها حتى قدفتها في البحر؟ فلم يرد عليه شيئا حتى فرغ من صلاته ثن قال : الحمد لله الذي رزقني ثم قبله مني، فانصرف خائبا ثم أرسل بعض الشياطين إلى جنانه وزروعه فأحرقوها، وجاء فأخبره، فقال مثل ذلك، فأرسل بعض الشياطين فزلزلوا منزل أيوب وفيها ولده وخدمه، فأهلكوهم، وجاء فأخبره فحمد الله، وقال إبليس وهو يظنه قيمه في ماله: لو كان فيك خير لقَضبكَ معهم، فانصرف خائبا، فقيل له كيف رأيت عبدي أيوب ؟ قال يا رب سلطني على جسده فسوف ترى، قيل له قد سلطتك على جسده، فجاء فنفخ في إبهام قدميه فاشتعل فيه مثل النار، ولم يكن في زمانه أكثر بكاء منه خوفا من الله تعالى، فلما نزل به البلاء لم يبك مخافة الجزع، وبقي لسانه للذكر، وقلبه للمعرفة والشكر، وكان يرى أمعاءه وعروقه وعظامه، وكان مرضه أنه خرج من جميع جسده ثآليل كأليات الغنم ووقعت به حكة لا يملكها فحك بأظفارها حتى سقطت ثم بالمسوح ثم بالحجارة فأنتن جسمه وتقطع، وأخرجه قومه، فجعلوا له عريشا على كناسة، ورفضه الخلق سوى زوجته واسمها رحمة بنت إفراييم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف إليه بما يصلحه.)[1]

---

(1) زاد المسير: 1/375-376.

وهذا الخبر من رواية بن منبه في قصة ساقها ابن جرير الطبري في التفسير.ج17:ص :65. وعلق ابن كثير، فقال: روي عن وهب في خبره قصة طويلة ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين وفيها غرابة.تفسير ابن كثير: 3/188

المبحث الثاني :

الإسرائليات في تفسير ابن الجوزي

وروى ابو بكر القرشي عن الليث بن سعد، قال: ملك يظلم الناس فكلمه في ذلك جماعة من الأنبياء، وسكت عنه أيوب لأجل خيل كانت له في سلطانه، فأوحى الله إليه: تركت كلامه من أجل خيلك؟ لأطيلن بلاءك.).

ونلاحظ من خلال هذا النموذج أن ابن الجوزي كما يورده هو دون أن يتدخل بأي تعليق أو مناقشة أورد مع أن في الخبر ما يستحق الوقوف والنظر، أفيليق مثلا بنبي الله -أيوب عليه السلام- أن يسكت على ظلم الملك فلا ينهاه ولا يعظه ولا يملكه لأجل خيله ؟ أيفعل ذلك وهو النبي المعصوم؟. فكان على ابن الجوزي أن ينظر في هذا الخبر نظرة الناقد البصير ويزنه بميزان النقد العادل ليبين صحيحه من سقيمه وزيفه من صوابه.

الإســـــرائلـــيات في تـفسيـر ابـن الـــجوزي

تـــمـــهيد :

الإسرائيليات : جمع مفرده إسرائلية، ويقصد بها القصة التي تروى عن مصدر إسرائيلي. واللفظ وإن دل بظاهره على ذلك فقط فهو مستعمل فيما أوسع من ذلك، إذ يطلق أيضًا على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة إلى مصدر يهودي، ويتوسع بعضهم في إطلاقه على ما دسه أعداء الإسلام من يهود وغيرهم في التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم، وإنما هي من صنيعهم ليفسدوا بها عقائد المسلمين كقصة الفرانيق، وقصة زينب بنت جحش وغيرها.(1)

وقد تسربت الإسرائيليات إلى معظم كتب التفسير إن لم يكن إلى جميعها، وحتى إلى كتب أولئك الذين نبهوا في مقدمات تفاسيرهم أنهم سوف يضربون صفحا عن ذكر الإسرائيليات، ومع ذلك وقعوا في ورطة ذكرها، لا ليحذروا منها ولا لينبهوا على كذبها، وإنما يذكرونها وكأنها وقائع صادقة وحقائق مسلمة بلا نقد لها، وبغير أسانيدها التي تيسر لمن ينظر فيها معرفة صدقها من كذبها(2)، ويرجع بعض الباحثين السبب في تسرب الإسرائيليات إلى كتب التفسير إلى أن القرآن الكريم كان يقصد في إيراد القصص إلى موضع العبرة ولم يكن غرضه سرد الوقائع التاريخية لمجرد الأخبار، ولما كانت النفس البشرية تتشوق دائما إلى معرفة المجهول فقد كان العرب في أول الإسلام، يسألون أهل الكتاب، وخاصة بعد أن أسلم طائفة منهم، كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار ووهب بن منبه، وقد كان عندهم شيء من العلم، ولكنهم لطول العهد بينهم وبين أنبيائهم، ولتحريف من حرف من أحبارهم السابقين فقد اختلط الحق الذي لديهم بالباطل وأصبحوا يجيبون من يسألهم فيصيبون أحيانا ويخطئون أحيانا أخرى، وتساهل المفسرون فملؤوا كتبهم بتفسيرات أهل الكتاب بنسب متفاوتة وأخذ القصص الصحيح منه وغير الصحيح يجد طريقه إلى كتب التفسير.(3)

---

(1) محمد حسين الذهبي– الإسرائليات في التفسير والحديث:ص :13-14– الطبعة الرابعة–1990– مكتبة وهبة– القاهرة

(2) المرجع السابق– 95

(3) علي محمد الزبيري– ابن حزي ومنهجه في التفسير:1/466-467. الطبعة الأولى: 1407هـ–1987م.دار التعليم للطباعة والنشر والتوزيع– دمشق

ويرجع آخرون السبب في تسرب الإسرائيليات إلى أن أعداء الإسلام استغلوا سماحة هذا الدين وعقائده التي توجب عليهم الإيمان بجميع الرسالات، وأن القرآن مصدق لما سبقه من رسالات سماوية، كما لا تعرف العقيدة الإسلامية الإكراه في الدين أو الحظر الفكري، ولا تأخذ غير المسلمين بمصادرة ما عندهم من تراث ديني أو غير ديني، من هنا دخلت الإسرائيليات في التفسير وبمضي الزمن نشبت في أذهان بعض المسلمين وأخذت بخناق المفسرين خاصة.(1)

وقد قسم العلماء الإسرائيليات إلى أقسام متعددة باعتبارات مختلفة، فقسموها من ناحية السند والمتن إلى :

صحيح من ناحية سنده أو متنه.

وضعيف من ناحية سنده ومتنه.

وقسموها باعتبار مواقفها لشريعتنا أو مخالفتها إلى :

أخبار موافقة لما شريعتنا، وأخبار مخالفة لما في شريعتنا، واخبار مسكوت عنها.(2)

يقول الحافظ ابن كثير :

(ولكن هذه الأحاديث الإسرائلية تذكر للإستشهاد لا للإعتضاد فإنها على ثلاثة أقسام:(أحدها) ما علمنا صحته مما بأيدنا مما يشهد له بالصدق فذلك صحيح. و(الثاني) ما علمنا كذبه مما عندنا ما يخالفه، و(الثالث) ماهو مسكوت عنه لا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرا ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب أهل الكهف، ولون كلبهم، وعددهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ودنيانهم)(3).

---

(1) د.محمد ابراهيم شريف- البغوى القراء وتفسيره للقرآن الكريم- ص.472. الطبعة الأولى: 1406هـ-1986م- مطبعة المدينة

(2) الإسرائيليات وأثرها فب التفسير الحديث: 35-41

(3) ابن كثير- تفسير القرآن العظيم- المقدمة-ص: 8-9

فهل خلا تفسير ابن الجوزي من الأخبار الإسرائيلية ؟ الحق أنَّ الأمر كما قاله الشيخ الذهبي: (لا أكون مبالغا ولا متجاوزا حد الصدق إن قلت: إن كتب التفسير كلها قد انزلق مؤلفوها إلى ذكر بعض الإسرائيليات، وإذ كان ذلك يتفاوت قلة وكثرة وتعقيبا عليها وسكوتا عنها.)[1]

فقد وقع ابن الجوزي فيما وقع فيه غيره من المفسرين من إيراد الأخبار الإسرائلية، ولم يكن في الغالب يتدخل في شأنها بنقد وتمحيص، وقد نبه الأستاذ محمد زهير الشاويش في مقدمة (زاد المسير) إلى ذلك فقال: (ولم يخل تفسيره من الإستشهاد ببعض الأحاديث المنكرة التي لا تصح، ومن إيراد طائفة من الأخبار الإسرائلية الغريبة).

والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر طائفة منها للإستشهاد على تورط ابن الجوزي في إيراد الإسرائليات في تفسيره فمن ذلك ما ذكره في شأن عصا موسى عليه السلام وإن قد أشار إليه بصغة التمريض فقال : (وقيل كانت تضيء له باليل، وتدفع عنه الهوام، وتثمر له إذا استشهى الثمار)[2]. وقد علق الحافظ ابن كثير في تفسيره ما ذكره المفسرون في شأن العصا فقال رحمه الله: (وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت فقيل كانت تضيء باليل، وتحرس له الغنم إذا نام، ويغرسها فتصير شجرة تظله، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، والظاهر أنها لم تكن كذلك ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه السلام صيرورتها ثعبانا فما كان يفر منها هاربا ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائلية.)[3]

---

(1) الإسرائليات في التفسير والحديث: 95

(2) زاد المسير: 279/5

(3) تفسير ابن كثير: 145/3

ومن الأخبار الإسرائلية ما ذكره ابن الجوزي في صفة الحجر الذي أمر الله عز وجل موسى بضربه حين استسقاه قومه، إذ قال: (واختلفوا في صفته على ثلاثة أقوال: أحدها: أن كان حجرا مربعا، والثاني ، كان مثل رأس الثور. قال ابن زيد، والثالث: مثل رأس الشاة، قاله عطية).(1)

ومنها أيضا ما أورده في شأن البعض من البقرة بضرب الميت فقد تكلف ذكر الأقوال المختلفة في شأن هذا البعض فقال:

(وفي الذي ضرب به ستة أقوال :

أحدها : أنه ضرب بالعظم الدي يلي الغضروف. رواه عكرمة عن ابن عباس والثاني: أنه ضرب بالفخد . روي عن ابن عباس أيظا وعكرمة ومجاهد وقتادة وذكر عكرمةو مجاهد أنه الفخد الأيمن.

والثالث:أنهالبضعة التي يكون بين الكتفين. رواه السدي عن أشياخه

والرابع: أنه الذنب. رواه الليث عن مجاهد.

والخامس: أنه عجب الذنب، وهو عظم بني عليه البدن، روي عن سعيد بن جبير

والسادس: أنه اللسان قاله الضحاك. (2)

ومنها أيضا مادكره في وصف القوم الجبارين الدي ورد ذكر قصتهم في صورة المائدة. إذ قال(قال ابن عباس:لما نزل موسىوقومه بمدينة الجبارين بعث اثنى عشر رجلا، ليأتوه بخبرهم، فلقيهم رجل من الجبارين، فجعلهم في كسائه فأتى بهم المدينة، ونادى في قومه فاحتمعوا فقالو لهم: من أين أنتم فقالوا: نحن قوم موسى بعثنا لنأتيه بخبركم فأعطوهم حبة عنب توقر الرجل وقالوا لهم قولوا لموسى وقومه: اقدروا قدر فاكهتهم، فلما رجعوا قالوا: ياموسى إن فيها قوم جبارين.

وقال مجاهد: لما رأى النقباء الجبارين وجدوهم يدخل في كم أحدهم اثنان منهم ولا يحمل عنقود أحدهم إلا خمسة أو أربعة، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حبها خمسةأو أربعة (3)

---

(1) زاد المسير: 87/1

(2) زاد المسير: 101-102

(3) المرجع السابق: 325

وهكذا يورد ابن الجوزي مثل تلك الأخبار الإسرائيلية، وقد كان الأجدر به أن يتحاساها ويضرب عنها صفحا،فإنها مما لا ينفع شيئا في التفسير أوكان عليه أن يتعقبها بنقد أو تمحيص ليتبين للقارئ الصحيح من السقيم.

ومن الأخبار الإسرائيلية المتعلقة بقصص الأنبياء ماذكره شأن إبراهيم عليه السلام وسبب اتخاده خليلا عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **واتخذ الله إبراهيم خليلا.**﴾، إذ ذكر أن الناس أصابتهم سنة فأقبلوا إلى باب إبراهيم يطلبون الطعام وكانت له ميرة من صديق له بمصر في كل سنة، فبعث غلمانه بالإبل إلى صديقه فلم يعطه شيئا، فقالوا: لو احتملنا من هذه البطحاء ليرى الناس أنا قد جئنا بميرة فملؤوا الغرائر رملا، ثم أتوا إبراهيم عليه السلام فأعلموه فاهتم إبراهيم لأجل الخلق، فنام وجاءت سارة وهي لا تعلم ما كان ففتحت الغرائر فإذا دقيق حوارى، فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم، فقال: من أين هذا الطعام؟ فقالت من عندخليلك المصري. فقال بل من عند خليلي الله عز وجل ، فيومئذ اتخذ الله ابراهيم خليلا. رواه أبو صالح عن ابن عباس.(1)

وقد علق الحافظ ابن كثير على هذا الخبر قائلا:

(وفي صحة هذا ووقوعه نظر، وغايته أن يكون خبرا إسرائيليا لا يصدّق ولايكذب.)(2)

ومن الأخبار الإسرائلية المتعلقة بالأنبياء ما ذكره في شأن داود عليه السلام. عند تفسير قوله تعالى :﴿ **وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب**﴾(3)

إذ أوردقصة تعلق دواد بامرأة القائد وإرساله إلى الغزاة ليموت فيتزوج داود امرأته.(4)

---

(1) زاد المسير: 212/2

(2)

(3) ص:21

(4) انظر تفصيل القصة في زاد المسير: 116-114/7

ولكن ما يحمد عليه ابن الجوزي في هذه القصة أنه لم يقف منها موقف الراوي فقط بل تعقبها بتعليق يقتضيه تنزيه الأنبياء عن مثل هذه الأ كاديب فقال بعد ذكر القصة:(و هذا لايصح من طريق النقل، ولا يجوز من حيث المعنى لأن الأنبياء منزهون عنه).[1]

وأكد هذا الأمر مرة أخرىعندما تعرض لذكر السبب الذي عوتب عليه داود عليه السلام، فقال بعد ذكر مختلف الأقوال:(فأما ماروي أنه نظر إلى المرأة فهويها، وقدم زوجها للقتل فإنه وجه لا يجوز على الأنبياء لأن الأنبياء لا يأتون المعاصي مع العلم بها.)[2]

ومنها أيضا ماذكره في (قصة الغرانيق) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلنامن قبلك من رسول ولا نبي إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته**﴾[3]

فقد قال: (قال المفسرون : سبب نزول الآية أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما نزلت عليه سورة (النجم) قرأها حتى بلغ قوله تعالى ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى**﴾ فألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فلما سمعت قريش بذلك فرحوا فأتاه جبريل، فقال ماذا صنعت؟ تلوت على الناس ما لم آتك به من عند الله، فحزن رسول الله حزنا شديدا فنزلت هذه الآية تطمينا لقلبه وإعلاما له أن الأنبياء جرى لهم مثل هذا.

قال العلماء المحققون: وهذا لا يصح، لأن رسول الله -صلى الله عايه وسلم- معصوم عن مثل هذا، ولو صح، كان المعنى أن بعض الشياطين من الإنس قال تلك الكلمات، فإنهم كانوا إذا تلا لغطو كما قال الله عز وجل: ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوافيه لعلكم تغلبون.**﴾[4].

والخلاصة أن تفسير ابن الجوزي -كغيره من عموم كتب التفسير- لم يخل من إيراد طائفة من الإسرائليات، وأن ابن الجوزي لم يكن يتعرض لها بنقد أو مناقشة، وأغلب ما ورد في كتابه من الإسرائليات مما يتعلق بالحوادث والأخبار التي لا تمد إلى العقائد والأحكام بصلة.

---

(1) انظر ذلك في زاد المسير: 116/7

(2) زاد المسير: 116/7

(3) الحج: 52

(4) فصلت:26- وانظر زاد المسير: 441/5

القيمة العلمية

لتفسير ابن الجوزي

وأما في الأخبار التي تتعلق بالأنبياء وعصمتهم فإن ابن الجوزي كان يعلق عليها ويردها إنطلاقا من عقيدة المسلم في تنزيه الأنبياء والمرسلين عما يطعن في عصمتهم ومكانتهم.

ووددنا لو أن ابن الجوزي كان يذكر تلك الأخبار بأسانيدها،ويعلق عليها كما يفعل الحافظ ابن كثير في تفسيره، وتنزيه كتب التفسير عن الأباطيل والأقاصيص المكذوبة التي تشوش على عقل المسلم وتفكيره، أمر يحمد عليه المتعرضون لتفسير كتاب الله عز وجل الذي أنزله هدى ورحمة للمتقين.

لئن كان ابن الجوزي قد ذاع صيته وبلغت شهرته الآفاق بمكانته المرموقة في عالم الوعظ والوعاظ، إذ شهد له بذلك العلماء والمؤرخون وما تزال كلماتهم في الثناء عليه تزدان بها كتب التراجم، فمنها ما قاله صاحب سير أعلام النبلاء:

(كان رأسا في التذكرة بلا مدافعة يقول النظم الرائق والنثر الفائق يسهب ويعجب، ويطرب ويطنب لم يأت قبله ولا بعده مثله فهو حامل لواء الوعظ والقائم بفنونه.)(1)

ومنها كلمة الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية :

(وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه، ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله.)(2)، فلئن كان إذن حامل لواء الوعظ فقد كان أيضا من مشاهير المفسرين وأعلامهم وقد أثنى عليه كثير من العلماء كمفسر.

وهذه بعض شهادات العلماء بمكانته بين أهل التفسير، يقول شمس الدين الذهبي في السير:

(وكان بحرا في التفسير علامة في السير والتاريخ)(3)

ويقول الإمام أبو عبد الله شمس الدين الذهبي في تذكرة الحفاظ نقلا عن الموفق عبد اللطيف:

(وله في كل علم مشاركة ولكنه كان في التفسير من الأعيان)(4)

---

(1) سيرة أعلام النبلاء: 366/21 الذهبي

(2) البداية والنهاية: 28/13

(3) سيرة أعلام النبلاء: 366/21

(4) تذكرة الحفاظ: 1346/4

أما الحافظ ابن كثير فيقول:

(وله المشاركات في سائر أنواع العلوم من التفسير والحديث والتاريخ، وله من المصنفات ما يطيق هذا المكان عن تعدادها ومنها كتابه في التفسير المشهور بزاد المسير)[1]، وقال الحافظ السيوطي في (طبقات المفسرين): (قال الذهبي: كان مبرزا في التفسير وفي الوعظ وفي التاريخ، ومتوسطا في المذهب، وله في الحديث اطلاع تام على متونه).

وقد وجدت ابن تيمية يعد تفسير ابن الجوزي في الكتب المرضية في علم التفسير فقد ذكره في ثنايا كلامه الذي جعله جوابا لمن سأله عن أقرب التفاسير إلى الكتاب والسنة[2].

أما محقق كتاب (زاد المسير) فيعتبر هذا الكتاب من أجل من انتهى إلينا من تراث السلف حيث قال : (ولعلنا لا نعدو الحق إذا قلنا إن هذا الكتاب من أجل ما انتهى إلينا من تراث السلف في بابه وأوفاها بالغاية من هذا العلم مع تنقيح وتهذيب ييسران الفائدة منه في أي غرض من أغراضه.)[3]

وتتجلى القيمة العلمية لكتاب زاد المسير في مظهرين :

أولهما : المنهج الذي سلكه ابن الجوزي في تفسيره فقد كان منهجا يجمع بين الأثريين واللغويين فكان تفسيرا أثريا لغويا ولا ريب أن هذا من أسلم المناهج في تفسير القرآن العظيم.

والثاني : فيما حواه من مادة علمية غزيرة وفي فنون من العلم متنوعة من التفسير، والفقه، وعلوم القرآن مع اختصار العبارة وبساطة الأسلوب، وقد تضمن من الأقوال المأثورة في التفسير ما يجعله من المراجع الهامة في هذا النوع من التفسير مع التخفيف على القارئ وعدم إثقال كاهله بالأسانيد المطولة كما هو الشأن في بعض كتب التفسير بالمأثور.

وإذا كان المفسرون يتأثرون بمن سبقهم ويأخذون عنهم ويجعلون كتب من تقدمهم مصادر للتفسير فإنهم كذلك يؤثرون فيمن من بعدهم سواء أكان ذلك التأثير في المنهج والطريقة أو في المضمون، حتى لنجد بعض كتب التفسير تتشابه في العبارة والأسلوب وبعضها لا يعدو أن يكون

---

(1) البداية والنهاية: 29/13

(2) ابن تيمية- مقدمة في أصول التفسير: 53

(3) مقدمة زاد المسير: 3/1

مختصرا لتفسير سبقه، وذلك ليس بمنقصة فإن علم التفسير واسع وغزير يأخذ فيه اللاحق عن السابق والسابق عن الأسبق.

إذا كان ذلك شائعا في التفسير فإن ابن الجوزي قد تأثر وأثر، فقد تأثر بمن سبقه وأخذ عنهم، أخذ عن الطبري، والماوردي والفراء والزجاج وابن قتيبة وغيرهم وكان أحيانا ينقل عباراتهم بنصها.

وأثر فيمن أتى بعده من المفسرين و لم أجد فيما اطلعت عليه من التفاسير المعاصرة له أو التي أتت بعده ما يدل على أن من المفسرين من نقل عنه ونص على ذلك ولكن ذلك لا يمنع من وجود من أخذ عنه، فبعض المفسرين ربما ينقل ويأخذ عن غيره من غير إشارة إلى ذلك.

أما من تأثر به المفسرين المعاصرين فالشيخ محمد علي الصابوني في كتابيه (صفوة التفاسير)، و(روائع البيان في تفسير آيات الأحكام).

ففي كتابه الأول نجده يرجع كثيرا إلى (زاد المسير) سواء في تفسير الآيات أو في ذكر أسباب النزول، يأخذ عنه أحيانا بتصرف في العبارة، وأحيانا ينقل نص كلامه كاملا.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى ﴿ **خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين** ﴾(1)، فقد قال الصابوني:

أي فإذا هو بعد تكامله بشرا، مخاصما لخلقه واضح الخصومة. قال ابن الجوزي : لقد خلق من نطفة ومع ذلك، فهو يخاصم وينكر البعث أفلا يستدل بأوله على آخره؟ وبأن من قدر على إيجاده أولا قادر على إعادته ثانيا.(2)

ونقل عنه في موضع آخر سبب نزول قوله تعالى: ﴿ **والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا** ﴾(3)

---

(1) النحل: 4

(2) محمد علي الصابوني- صفوة التفاسير- درا القرآن الكريم- بيروت-ط:1-1981- ج:7-ص :18

(3) الإسراء: 60

فيقول: لما ذكر الله تعالى الزقوم في القرآن، قال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمدا يخوفكم بشجرة الزقوم ألستم تعلمون أن النار تحرق الشجرة ؟ ومحمد يزعم أن النار تنبت الشجر فهل تدرون ما الزقوم؟ هو التمر والزبد، يا جارية ابغينا تمرا وزبدا فجاءته به فقال: تزقموا من هذا الذي يخوفكم به محمد.

وهو النص الوارد في كتاب زاد المسير لابن الجوزي في ج5.ص:55.

والمواضع التي نقل فيها الصابوني عن ابن الجوزي كثيرة جدا بل يعد كتاب (زاد المسير) أهم مراجع صفوة التفاسير.

أما في كتابه الثاني (روائع البيان في آيات الأحكام) فقد أفاد منه في المسائل الفقهية كثيرا إذا تعرض الخلاف الفقهاء باعتبار ابن الجوزي من مفسري الحنابلة، ومن الأمثلة على ذلك استشهاده بقول ابن الجوزي في حكم البسملة هي هل من الفاتحة أم لا؟ فقد نقل كلامه من زاد المسير.(1)

كما نقل نص كلامه في حكم ابداء الحرة بعض زينتها أمام عبدها وأمام أمتها عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾(2)، ونص الكلام (إنما ذكر الإماء في الآية لأنه قد يظن الظان أنه لا يجوز أن تبدى زينتها للإماء لأن الذين تقدم ذكرهم أحرار فلما ذكر الإماء زال الإشكال)(3).

كما أفاد الصابوني في كتابه (روائع البيان) من (زاد المسير) في القراءات ووجوه الإعراب ومعاني الألفاظ في كثير من المواضع.

ومهما تكن قلة أو كثرة الذين نقلوا عن ابن الجوزي في تفاسيرهم فإن القيمة العلمية للكتاب تبقى قائمة، ويعد كتابه من أغزر التفاسير مادة علمية ويعد جمعه بين المنهج الأثري والمنهج اللغوي فضيلة بارزة تعطي الكتاب مكانة علمية مرموقة.

---

(1) الصابوني- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام- منشورات مكتبة الغزالي- دمشق- ط:3- 1981-ج:1- ص:54

(2) النور:31

(3) روائع البيان: 164/2

الخـــاتـــمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من به ختمت الرسالات.

(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) وبعد:

فهذا هو بحثي الموسوم "بابن الجوزي ومنهجه في التفسير" وهذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها:

1- شهد عصر ابن الجوزي (القرن السادس الهجري) أحداثا سياسية بارزة، صاحبت ابن الجوزي من مولده إلى وفاته، وظهرت فيه تقلبات كثيرة، وافلتت فيه الأمور من يد الخليفة فصارت بيد السلاطين السلاجقة، كما شهد هذا العصر كثيرا من الحروب والمنازعات، أضعفت الدولة وجرّأت الطامعين على التربص بها والنيل منها.

2- أدّت تلك الظروف السياسية المضطربة إلى تدهور في الحالة الأمنية، فكثرت الفتن الطائفية والمذهبية، وتفشت أعمال التقتيل والإفساد من قبل العصابات فروعت العباد، ونشرت الفساد وكان أخطرها فرقة الحشاشين.

ونتج عن ذلك تدهور في الحالة الإجتماعية، فظهر الثراء والبذخ في جهة، وفشا في أخرى الفقر، فأفرز ذلك جوا من الحقد والكراهية نمت فيه عصابات اللصوص وقطاع الطرق.

3- شهد عصر ابن الجوزي -رغم الحروب والفتن- نهضة علمية كبيرة، ساعدت على قيامها عوامل جمة، كتشجيع الخلفاء للعلماء، وكثرة المدارس، ووفرة المكتبات العلمية الزاخرة بأمهات المؤلفات، وحفظ التاريخ أسماء كثيرة من العلماء الأعلام في فروع العلم المختلفة، برزوا في تلك الفترة.

4- تبين لي من دراسة حياة ابن الجوزي وسيرته أنّه علم من أعلام الأمة الإسلامية، موسوعي التأليف، غزير العطاء، برز في فنون شتى من العلم، ونال شهرة فائقة في فن الوعظ فسارت بحديثه الركبان، وحضي بثناء جمع غفير من العلماء، ووضع الله له القبول في قلوب العباد، وكان إلى جانب تفوقه العلمي عبدا صالحا، مقبلا على الله، سالكا طريق أهل الزهد والورع.

أما عن منهجه في التفسير فقد خلصت إلى مايلي:

5- إن تفسير ابن الجوزي (زاد المسير) تفسير جمع فيه صاحبه بين الإتجاه اللغوي، والإتجاه الأثري، وبدت فيه العناية بالجانب اللغوي سواء في معاني الألفاظ أو اعرابها واشتقاقها وتصريفها بارزة جدا، وإن لم يطغ ذلك على الإهتمام بالتفسير المأثور، فقد ضمّ الكتاب ثروة ضخمة من النقولات المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، فيكون التفسير بذلك تفسيرا أثريا لغويا.

6- أبدى ابن الجوزي في تفسيره عناية فائقة بتتبع مختلف الأقوال والأراء الواردة في معاني الكلمات والآيات القرآنية حتى كان يورد أحيانا عشرين قولا للآية الواحدة لكنه لم يكن يناقش الأقوال أو يرجح بعضها على بعض إلا في مواضع محدودة من الكتاب.

7- التزم ابن الجوزي الأمانة العلمية، فنسب كل قول ذكره في تفسيره إلى صاحبه.

8- لم يخل تفسير ابن الجوزي من تورّط في إيراد بعض الأخبار الإسرائيلية عند تناوله لآيات القصص، وهو الأمر الذي لم ينج منه أي مفسر تقريبا، ولكن ابن الجوزي ناقش كثيرا من الأقوال التي تتعلق بعصمة الأنبياء، وأبطلها وردّ عليها بما يفي في دحضها.

9- التزم ابن الجوزي إلى حد كبير بما ذكره في مقدمة تفسيره عن المنهج الذي سلكه في تأليف كتابه، كالإختصار، وعدم إعادة شرح كلمة سبقت، واقتصاره في ذكر الأقوال على ما رآه الأقرب إلى الصواب، وتعرضه لفنون كثيرة مما يتطلبه التفسير كالقراءات والنسخ، والإعراب وحل المشكل، وغير ذلك.

10- اهتم ابن الجوزي كثيرا بموضوع النسخ، وتتبع كل آية فيها شبهة نسخ فأشار إليها، ولم يكن يسلم بكل ما يقوله علماء النسخ، بل ردّ كثيرا من أقوالهم مبينا أنه لاوجه للنسخ في بعض الآيات معللا لما يقول.

11- أكثر ابن الجوزي في تفسيره من ذكر أسباب النزول فظهرت في كتابه مادة علمية غزيرة في هذا النوع من علوم القرآن غير أنه لم يكن يناقشها، بل يكتفي بعرضها، الأمر الذي يجعلها بحاجة إلى أن تعرض على ميزان النقد الدقيق.

12- أظهر ابن الجوزي عناية كبرى بالقرءات، فقد زخر تفسيره بذكر القراءات المتواترة منها والشاذة، مستعينا بها على التفسير، ناسبا كل قراءة إلى صاحبها، ومبينا أثرها في المعنى ومشيرا أحيانا إلى موضوع المفاضلة بين القراءات.

13- أما فيما يتعلق بآيات الأحكام، فقد كان ابن الجوزي يهتم بها اهتماما خاصا، إذ يعقد لها فصولا خاصة بعد تفسيرها، ويذكر أقوال أئمة المذاهب في المسألة الفقهية مقدما في الغالب رأي الإمام أحمد، ومنتصرا له في بعض الأحيان، فكشف بذلك عن تمكنه من الفقه وإحاطته بأقوال الفقهاء.

14- وأما في آيات الصفات فقد تردّد ابن الجوزي بين التفويض والتأويل، فقال بالتفويض في صفة الإستواء وصفة الحياء وقال بالتأويل في صفة اليد والعين، والمجيء وغيرها.

ويعد ذلك مخالفا لأتباع الإمام أحمد الذين لايذهبون إلى القول بالتأويل.

15- كشف ابن الجوزي في تفسيره عن حس لغوي دقيق، ومعرفة واسعة بعلوم اللغة وظهرت استفادته من استاذه الجواليقي الذي أكثر من ذكره في كتابه بعبارة (قال شيخنا أبو منصور اللغوي) وتدل المصادر اللغوية التي اعتمد عليها في تفسيره دليلا على تعلقه بعلوم اللغة العربية وتمكنه منها.

16- كان الشعر حاضرا كثيرا في تفسير ابن الجوزي، ويعدّ من أهم الأدوات التي استعان بها في بيان معاني الكلمات القرآنية وترجيح معنى على آخر، وفي كتابه (زاد المسير) ثروة ضخمة من الشعر العربي الرصين المتين، وحلّها من شواهد الفرّاء والزجاج وابن قتينه.

17- عرض ابن الجوزي مادة تفسيره في أسلوب سهل ممتع لايكلف القارئ نصبا ولا تعبا.

18- أقترح أن يتناول تفسير ابن الجوزي بدراسة أعمق وأدق، وينقى من الأخبار الإسرائيلية، وتنتقى فيه أصح الأقوال من التفاسير المأثورة الواردة فيه، ومن المفيد أن يخرج منه بمختصر منقح تنقيحا دقيقا فيكون الإنتفاع به أقرب منالا.

19- واخيرا لا أزعم أني وفيت الكتاب حقّه من الدراسة والبحث في منهجه، فكل جانب فيه، من اللغة أو القراءات، أو النسخ أو آيات الأحكام، يستحق أن يكون بحثا مستقلا موسعا ومفصلا.

وأسأل الله الفتاح العليم، أن يعظم رغبتي في القرآن وأن يوفقني لمزيد من البحث والدراسة في هذا العلم الشريف ألا وهو العلم بتفسير كلام الله عز وجل أحسن الكلام وأصدقه.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

قـــائمة المـصادر والمراجع
مـرتبة حسب أسماء المؤلفين

1- القرآن الكريم- برواية حفص عن عاصم

أحمد بن حنبل (أبو عبد الله الشيباني)- ت 240هـ.

2- المسند- طبعة دار الفكر.

3- العقيدة- دراسة وشرح وتحقيق عبد العزيز عزالدين السيروان- دار قتيبة للطباعة والنشر- ط:1-1408هـ-1988م.

الأخفش (سعيد بن مسعدة المجاشعي).ت

4- معاني القـرآن- تحقيـق عبـد الأمير محمـد أمين الـورد- عـالم الكتـب-ط:1- 1405هـ-1985م.

الأشعري (ابو الحسن علي بن اسماعيل).ت 324هـ.

5- الإبانة في أصول الديانة- دار القادري-ط:1- 1412هـ-1991م.

6- مقالات الإسلاميين- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- ط:3-1405هـ-1985م.

أحمد أحمد بدوي.

7- من بلاغة القرآن- مكتبة نهضة مصر.

أحمد شلبي(دكتور).

8- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية- مكتبة النهضـة المصريـة- القـاهرة-ط:8-1985م.

أحمد عادل كمال.
9- علوم القرآن.

أمين الخولي.
10- التفسير -معالم حياته ومنهجه- طبعة جماعة الكتاب-1944.

البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل).ت256هـ.
11- صحيح البخاري- طبعة الكليات الأزهرية.

ابن باديس (عبد الحميد)
12- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير.
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-ط:3-1979م.

ابن تيمية (أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية). ت 728هـ.
13- مقدمة في أصول التفسير- مكتبة الحياة- بيروت.

الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى).ت 279هـ.
14- سنن الترمذي- تحقيق عبد الرحمان محمد عثمان-ط: دار الفكر.

الجصاص (احمد بن علي الرازي). ت370هـ.
15-أحكام القرآن- درا الكتاب العربي- بيروت-لبنان.

ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي).ت597هـ.

16- زاد المسير في علم التفسير- المكتب الإسلامي-ط:3- 1403هـ-1983م.

17- تلبيس إبليس- دار الكتب العلمية-بيروت-ط:1- 1403هـ-1983م.

18- مناقب الإمام أحمد - دار الآفاق الجديدة-ط:3-1402هـ-1982م.

19- صيد الخاطر- تحقيق محمد الغزالي- مكتبة رحاب-الجزائر.

20- التذكرة في الوعظ- دار المعرفة- بيروت- ط:1-1406هـ-1986م.

21- لفتة الكبد إلى نصيحة الولد- شركة الشهاب- الجزائر.

الحاكم (أبو عبد الله محمد النيسابوري). ت405هـ.

22- المستدرك- طبعة دار الكتاب العربي.

حسن أيوب

23- مع الله في صفاته وأسمائه الحسنى- دار الشهاب للطباعة والنشر.

حسن البنا.

24- العقائد- دار الشهاب- القاهرة- مصر.

حسن إبراهيم حسن (دكتور).

25- تاريخ الإسلام- دار الجيل-بيروت-ط:13-1411هـ-1991م.

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد).ت 608هـ.

26- وفيات الأعيان- دار الثقافة- بيروت- تحقيق إحسان عباس.

خالد عبد الرحمان العك.

27- أصول التفسير وقواعده- دار النفائس- بيروت- لبنان- ط:2- 1406هـ-1986م

أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني). ت 275هـ.
28- سنن أبي داود- ضبط وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد- طبعة دار الفكر.

الداودي (شمس الدين محمد بن علي). ت 945هـ.
29- طبقات المفسرين- تحقيق علي محمد عمر- مطبعة الإستقلال الكبرى- ط:1-1392هـ-1972م.

الذهبي (ابو عبد الله شمس الدين). ت 748هـ.
30- تذكرة الحفاظ- دار إحياء لبتراث العربي.
31- سير أعلام النبلاء- مؤسسة الرسالة-ط:1-1404هـ-1984م

الذهبي (محمد حسين) دكتور
32- التفسير والمفسرون- دار إحياء التراث العربي- بيروت-لبنان
33- الإسرائيليات في التفسير والحديث- مكتبة وهبة- القاهرة-ط:4-1990م.

ابن رجب الحنبلي. ت 795هـ.
34- ذيل طبقات الحنابلة- طبعة السنة المحمدية- القاهرة.

الزجاج (ابراهيم بن محمد بن السري أبو اسحاق). ت 310هـ.
35- معاني القرآن وإعرابه- تحقيق وشرح الدكتور عبد الجليل شلبي- المكتبة العصرية- صيدا-بيروت.

الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله). ت794هـ.
36- البرهان في علوم القرآن- دار الفكر-ط:3- 1400هـ-1980م.

الزرقاني (محمد عبد العظيم)
37- مناهل العرفان في علوم القرآن- درا الفكر .

الزركلي (خير الدين)
38- الأعلام- دار العلم للملايين- بيروت-ط:7-1986م

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان السيوطي). ت911هـ.
39- تاريخ الخلفاء- دار الفكر العربي- القاهرة.
40- الإتقان في علوم القرآن- دار المعرفة- بيروت- لبنان- ط:4- 1398هـ- 1978م.
41- طبقات المفسرين- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
42- الدار المنثور في التفسير بالمأثور- دار المعرفة- بيروت- لبنان.
43- بغية الوعاة في طبقة اللغويين والنحاة- دار الفكر- 1399هـ-1979م.

اسماعيل باشا البغدادي
44- هداية العارفين إلى أسماء المولفين- مطبعة استنبول- 1951م.

الصابوني (محمد علي)
45- صفوة التفاسير- دار القرآن الكريم- بيروت- ط:1- 1401هـ-1981م.
46- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام- مكتبة الفرابي- دمشق-ط:3- 1400-1980

الطبري (محمد بن جرير). ت310هـ.
47- جامع البيان في تفسير القرآن- دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت- ط:1980.

أبو عبيدة (معمر بن المثنى التيمي). ت210هـ.
48- مجاز القرآن- تحقيق فؤاد سزكين- مكتبة النحانجي- القاهرة.

ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن العماد الحنبلي). ت 1089هـ.
49- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- دار الآفاق الجديدة- بيروت-لبنان

عادل نويهض
50- معجم المفسرين- مؤسسة نويهض الثقافية-ط:2- 1406هـ-1986م.

عبد الفتاح القاضي.
51- البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة- مطبعة الحلبي- مصر-ط:1-1955م.

عبد الكريم الخطيب
52- الإعجاز في دراسات السابقين- دار الفكر العربي-ط:1- 1974م.

علي محمد الزبيري
53- ابن جوزيّ ومنهجه في التفسير- دار التعليم للطباعة والنشر والتوزيع -دمشق-ط:1-1407-1987م.

ابن عاشور (محمد الطاهر)
54- التحرير والتنوير -الدار التونسية للنشر- 1984

ابن عاشور (محمد الفاضل)
55- التفسير ورجاله- دار الكتب الشرقية- تونس-1972م

الفراء (أبو زكريا يحي بن زياد). ت207هـ.
56- معاني القرآن- عالم الكتب- ط:3-1403هـ-1983م.

ابن فرحون (برهان الدين ابراهيم بن علي المالكي). ت799 هـ.
57- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب- دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان

القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد). ت821هـ.
58- مآثر الإنافة في تاريخ الخلافة- تحقيق عبد الستار أحمد فرج- الكويت- 1964م.

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة). ت276هـ.
59- تأويل مشكل القرآن- تحقيق سيد أحمد صقر- المكتبة العلمية-ط:3- 1401هـ-1981م.
60-تفسير غريب القرآن.

القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري). ت 671هـ.
61- الجامع لأحكام القرآن- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

ابن قدامة (موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد). ت 620هـ.
62-المغني والشرح الكبير- دار الكتاب العربي- بيروت-لبنان- 1392م-1972م.

القاسمي (جمال الدين). ت 1914م.
63-محاسن التأويل- دار الفكر- بيروت-ط:2- 1388هـ-1978م.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير). ت 774 هـ.
64- تفسير القرآن العظيم- دار الأندلس- بيروت- ط:6- 1404هـ-1984م.
65- البداية والنهاية- مكتبة المعارف- بيروت-ط:5- 1983م.

كحالة (عمر رضا)
66-علوم الدين الإسلامي- مطبعة الحجاز- دمشق- 1394هـ-1974م.

مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري). ت 261هـ.
67- صحيح مسلم- طبعة دار الفكر

الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد البصري). ت 450 هـ.
68- النكت والعيون.

ابن مفلح (أبو عبد الله محمد بن مفلح). ت 763 هـ.
69- الفروع- دار مصر للطباعة- ط:2-1961

محمد عزة دروزة
70-القرآن المجيد- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت.

محمد ابراهيم شريف (دكتور)
71- البغوي الفراء وتفسيره للقرآن الكريم-ط:1- 1406هـ-1986م.

محمد بن عبد الرحمان المغراوي
72- المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات- دار طيبة-ط:1-1405هـ-1985م.

مساعد مسلم (دكتور)
73- أثر التطوير الفكري في التفسير في العصر العباسي- مؤسسة الرسالة- ط:1-1984م.
74- دائرة المعارف الإسلامية- الترجمة العربية.
75- مجلة العلوم الإسلامية- جامعة الأمير عبد القادر- العدد:4.

فهـــرس الآيـــات القـرآنيـــة

السـورة	الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
الفاتـحـــة	الحمد لله رب العالمين	2	3
	الرحمن الرحيم	3	149
	اهدنا الصراط المستقيم	6	109
البـقـــرة	واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله	281	44
	فلما أضاءت ما حوله	17	122-49
	شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن	185	53
	ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه	130	53
	ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم	243	55
	يخادعون الله والذين آمنوا	9	93-55
	ولكم في القصاص حياة	179	55
	واعلموا أن الله غني حميد	267	56
	وماتنفقون إلاّ ابتغاء وجه الله	272	56
	ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون	3	63
	إن الله لايستحي أن يضرب مثلا	26	126-66-65
	وكذلك جعلناكم أمة وسطا	143	66
	في قلوبهم مرض	10	68
	وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض	11	69
	فمن كان منكم مريضا أو على سفر	185	135-81
	وإن كنتم في ريب	23	94
	ماننسخ من آية أو ننسها	106	94
	أم تريدون أن تسألوا رسولكم	108	94
	وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله	107	95
	كلوا مما في الأرض حلالا طيبا	168	95
	ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا	165	95

إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى	62	98	
إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى	159	99	
إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا	160	99	
ويسألونك ماذا ينفقون	215	102	
نغفر لكم خطاياكم	58	105	
وتصريف الرياح	164	105	
فآتت أكلها ضعفين	264	105	
ويشهد الله على ما في قلبه	204	106	
الحق من ربك	147	116	
يكاد البرق يخطف أبصارهم	20	117	
لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم	225	119	
والفلك التي تجري في البحر	164	120	
وإذا خلوا إلى شياطينهم	14	122	
وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم	40	124	
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله	185	131	
إن الصفا والمروة من شعائر الله	158	131	
فلا جناح عليه أن يطوّف بهما	158	131	
ويسألونك عن المحيض	222	139	
وإلهكم إله واحد..	164-163	146	
والله لا يحب الفساد	205	169-153	
فثم وجه الله	115	158	
هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله	210	160	
ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم	257	163	
فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا	24	167	
بديع السموات والأرض	117	174	
فأماته الله مائة عام ثم بعثه	259	178	
ثم اتخذتم العجل من بعده	51	178	
وما يعلم تأويله إلا الله	7	42	آل عمران

أو يتوب عليهم	128	50
شهد الله أنه لاإله إلا هو	18	67
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل	174	69
ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر	176	69
يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا	100	91
إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا	77	95
ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه	85	98
اتقوا الله حق تقاته	102	99
فلما أحس عيسى منهم الكفر	52	126
إن الله بما يعملون محيط	120	149
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل	173	149

النساء

يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة	176	44
الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية	75	50
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال	77	54
كتاب الله عليكم	24	56
واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم	15	57
فانكحوا ماطاب لكم من النساء	3	57
ومن لم يستطع منكم طولا	25	58
إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه	31	73
فاستشهدوا عليهن أربعة منكم	15	70
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا	82	70
ما أصابك من حسنة فمن الله	79	87
ولأضلنهم ولأمنينهم	119	88
ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة.وأنتم سكارى	43	91
ومن يعمل سوءا أويظلم نفسه	110	94
من بعد وصية يوصي بها أودين	12	115
إلا المستضعفين من الرجال والنساء	98	115
مأواهم جهنم وساءت مصيرا	97	116

	لا يكادون يفقهون حديثا	78	118
	فمن لم يجد فصيام شهرين متتاليين توبة من الله	92	133
	إنّ الله كان عليكم رقيبا	1	150
	وكلّم الله موسى تكليما	164	152
	ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن	124	171
	إن الله لا يغفر أن يشرك به	48	173
	واتخذ الله إبراهيم خليلا	125	185
المـائدة	ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات		
	جناح فيما طعموا	93	93
	والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب		
	وحسبوا أن لاتكون فتنة	71	117
	إنما الخمر والميسر والأنصاب	90	119
	وأيدكم إلى المرافق	6	123
	إن الله يحكم ما يريد	2	152
	وقالت اليهود يد الله مغلولة	64	158
الأنعام	قل هلّم شهداءكم الذين يشهدون	151	54-121
	ومنهم من يستمع إليك	25	86
	ولقد جئتمونا فرادى	94	89
	شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض	112	80
	وهذا صراط ربك مستقيما	126	116
	هل ينظرون إلاّ أن تأتيهم الملائكة	158	160
	لا تدركه الأبصار	103	162
	الله أعلم حيث يجعل رسالته	124	165
الأعـراف	ربنا ظلمنا أنفسنا	23	47
	والوزن يومئذ الحق	8	71

	ولا تجد أكثرهم شاكرين	17	88
	حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق	105	122
	ولله الأسماء الحسنى	180	147
	إنّ ربكم الله الذي خلق السموات والأرض	54	156
	قال لن تراني	143	163
	ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط	40	163
	ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا	176	176
الأنفال	وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم	34	99
	ومالكم من ولايتهم من شيء	72	125
التوبة	لقد جاءكم رسول من أنفسكم	127	111-44
	فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم	5	82
	لقد نصركم الله في مواطن كثيرة	25	117
	وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول	124	171
يونس	وإن كذبوك فقل لي عملي	41	100
	للذين أحسنوا الحسنى وزيادة	27	163
هود	فإن تولوا فقد أبلغتكم	57	86
	من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها	15	100
	وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم	122-121	100
	وكان عرشه على الماء	7	156
	واصنع الفلك بأعيننا ووحينا	37	159-158
	وكلا نقص عليك من أنباء الرسل	120	176
يوسف	ولقد همت به وهمّ بها	24	166-37
	ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك	104	167
	لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب	111	177-176
	وقال نسوة من المدينة	30	108

الرعد	أكلها دائم وظلها	35	106
	تسقى بماء واحد	4	147
	وإذا أراد الله بقوم سوءا		
الحجر	لوما تأتينا بالملائكة	7	54
	فاصفح الصفح الجميل	85	101
	واعرض عن المشركين	94	101
النحل	ليحملوا أوزانهم كاملة يوم القيامة	25	47
	ولئن صبرتم لهو خير للصابرين	128	82
	فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين	82	101
	وجادلهم بالتي هي أحسن	125	101
	إنما قولنا لشيء إذا أردناه	40	174
	خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين	4	190
الإسراء	ولا تبذر تبذيرا	62	62
	عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا	79	62
	إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم	9	79
	فحق عليها القول فدمرناها تدميرا		79
	كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء	20	80
	ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى	2	81
	وقالوا لن نؤمن لك..	90	106-84
	لأحتنكن ذريته إلا قليلا	62	88
	وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس	106	91
	ويسألونك عن الروح	85	92
	أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا		107
	كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها	38	108
	تسبح له السموات السبع	44	108

	لقد علمت ماأنزل هؤلاء	102	109
	قل لو كا في الأرض ملائكة	95	166
	والشجرة الملعونة في القرآن	60	190
الكهف	والباقيات الصالحات خير عند ربك	46	61
	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم	28	83
	ويسألونك عن ذي القرنين	83	92
	قا لو كان البحر مدادا لكلمات ربي	109	108
	وكان وراءهم ملك	79	110
	وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين	110	110
	ما أشهدتهم خلق السموات والأرض	51	151
مريم	قال سلام عليك سأستغفر لك ربي	47	58
طه	لا تفتروا على الله كذبا	61	61
	وقد أفلح اليوم من استعلى	64	61
	وقد خاب من حمل ظلما	111	61
	إنني معكم أسمع وأرى	46	152
	الرحمن على العرش استوى	5	157
الأنبياء	لعلكم تسألون	13	63
	وما أرسلنا قبلك من رسول	25	146
	لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا	22	147
الحج	ومن الناس من يعبد الله على حرف	12	75
	وبشر المحسنين	38	76
	كتب عليه أنه من تولاه		79
	وترى الناس سكارى وما هم بسكارى		79
	وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون	68	101
	وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّى	52	186

المؤمنون	ادفع بالتي هي أحسن السيئة	96	64
	فذرهم في غمرتهم حتى حين	54	85
	فتبارك الله أحسن الخالقين	14	87
	وشجرة تخرج من طور سيناء	20	110
	ثم إنكم بعد ذلك لميتون	15	126
النور	إن الذين جاءوا بالإفك		38
	وعد الله الذين آمنوا منكم...	55	72
	وليضربن بخمرهن على جيوبهن	32	77
	ويعلمون أن الله هو الحق المبين	25	117
	يكاد زيتها يضيء	35	118
	الزاني لا ينكح إلا زانية	3	134
	أو ما ملكت أيمانهن	31	133
	والقواعد من النساء	60	133
	ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله	2	140
الفرقان			
	فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات	70	73
	ويوم يعض الظالم على يديه	29-28	73
	ويلقون فيها تحية وسلاما	77	78
	وقال الذين كفروا لولا نزل علينا القرآن جملة واحدة	32	91
	وقالوا مال لهذا الارسول..	7	165
الشعراء	وأنذر عشيرتك الأقربين	214	72
	وتنحتون من الجبال بيوتا فوهين	153	78

النمل	فتبسم ضاحكا من قولها	30	78
	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم	14	109
القصص	ولا يلقاها إلا الصابرون	80	51
	كل شيء هالك إلاّ وجهه	88	158
	وما كنت بجانب الغربي	44	167
العنكبوت	فأخذهم الطوفان وهم ظالمون	14	47
	وتأتون في ناديكم المنكر	29	47
	ولذكر الله أكبر	45	47
	ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن	46	48
	وليحملنّ أثقالهم	13	47
لقمان	وإن جاهداك على أن تشرك بي	15	51
السجدة	يدبر الأمر من السماء إلى الأرض	5	157
الأحزاب	يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن		38
	يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات	50	136-134
سبأ	ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه	20	88
فاطر	إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة	29	52
	استكبارا في الأرض ومكر السيّء	43	53
	إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا	41	152
	إليه يصعد الكلام الطيب	10	157
يس	فعززنا بثالث	14	107
	وإن كل لما جميع لدينا محضرون	32	107

الصافات	فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه	144-143	123-54
	والله خلقكم وما تعملون	96	170-169
ص	كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته	29	29
	لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه	24	88
	اصبر على ما يقولون	17	81
	وهل أتاك نبأ الخصم		185
الزمر	والأرض جميعا قبضته يوم القيامة	67	73
	قرآنا عربيا غير ذي عوج	28	174-80
	قل الله أعبد مخلصا ديني	14	81
	ولا يرضى لعباده الكفر	7	170-153
فصلت	كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا	3	29
	وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن	26	186
الزخرف	وقالوا يامالك ليقض علينا ربك	77	163
	أهم يقسمون رحمة ربك	32	165
الدخان	كم تركوا من جنات وعيون	25	80
الفتح	يد الله فوق أيديهم	10	159
الحجرات	يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ	6	38
النجم	أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى	20-19	186
القمر	تجري بأعيننا	14	159

الرحمن	فبأي آلاء ربكما تكذبان	13	124
	يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان	22	125
	كأنهن الياقوت والمرجان	58	125
	ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام	27	143
الحديد	هو الأول والآخر	3	151
الصف	كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون	3	116
التغابن	فاتقوا الله مااستطعتم	16	100
الطلاق	لتعلموا أن الله على كل شيء قدير. وأن الله قد أحاط بكل شيء علما	12	151
الملك	أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض	16	157
الحاقة	ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية	17	73
المعارج	فذرهم يخوضوا ويلعبوا	42	98
	عن اليمين وعن الشمال عزين	37	120
	إلى نصب يوفضون	44	121
المدثر	يا أيها المدثر	1	43
القيامة	وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة	23-22	162
الإنسان	ويطعمون الطعام على حبه	8	98
	قواريرا من فضة قدروها تقديرا	16	116

فـهـرس المـوضوعـات

المقدمة

الباب الأول : ابن الـجوزي : عـصره وحياتـه

الفصل الأول : عـصر ابن الجوزي

المبحث الأول : الحالة السياسية 1

المبحث الثاني : الحالة الإجتماعية والأمنية 7

المبحث الثالث: الحالة العلمية والفكرية 10

الفصـل الثاني : حيـاة ابن الجـوزي

المبحث الأول: نسبه وولادته ونشأته وأخلاقه 16

المبحث ألول : شيوخه وتلاميذه 20

المبحث ألول : مولفاته وآثاره العلمية 24

الباب الثاني :منهج ابن الـجوزي في التفسير
(من خلال كتابه زاد المسير)

الفصل الأول : التعريف بالكتاب

المبحث الأول : التفسير قبل ابن الجوزي 29

المبحث الثاني : رأيه فيما سبقه من التفاسير 35

المبحث الثالث : هل كان لابن الجوزي غير "زاد المسير" 37

المبحث الثالث : التعريف العام بكتاب "زاد المسير" 40

الفصل الثاني : مصادره في التفسير

المبحث الأول : مصادره من كتب اللغويين 49

المبحث الثاني : التفاسير المأثورة 60

المبحث الثالث: مصادره من كتب التفسير 65

المبحث الرابع : مصادره من كتب السنة 71

الفصل الثالث : منهج ابن الجوزي في تناول : السور، والآيات، وسمات المنهج العام

المبحث الأول : منهجه في تناول السور 75

المبحث الثاني : منهجه في تناول الآيات 77

المبحث الثالث: سمات المنهج العام 83

الفصل الرابع: موقفه من أسباب النزول، والنسخ والقراءات

المبحث الأول: أسباب النزول 91

المبحث الثاني: الناسخ والمنسوخ 97

المبحث الثالث: القراءات 104

الباب الثالث : القضايا اللغوية والفقهية والعقائدية وموقفه من القصص والإسرائيليات

الفصل الأول : القضايا اللغوية

المبحث الأول : إعراب القرآن 115

المبحث الثاني : التصريف والإشتقاق 119

المبحث الثالث: معاني الحروف 122

المبحث الرابع: فوائد لغوية مختلفة 124